

اقبال

شاعراً ومفكراً

إعداد وتأليف

محمدي حمود الفلوجي

مجموعة من الكلمات والخطب والمحاضرات

التي أُلقيت بمناسبة الذكرى المئوية

لميلاد العلامة محمد أقبال

١٩٧٧



إِقْبَالٌ

شِئَاعِرٌ وَمَفْكَرٌ

إعداد وتأليف

محمدي حمود الفلجوني

مجموعة من الكلمات والخطب والمحاضرات

التي ألقيت بمناسبة الذكرى الثوية

لميلاد العلامة محمد إقبال

١٩٧٧



العلامة الدكتور محمد اقبال في عام ١٩٢٢

المحتويات

- ١ - المقدمة مهدي حمود الفلوجي
- ٢ - كلمة سفير باكستان باللغة الانكليزية الأستاذ معزالدين أحمد مترجمة من قبل السفارة الباكستانية
- ٣ - اقبال شاعراً ومفكراً مهدي حمود الفلوجي
- ٤ - ثورة اقبال الفكرية في القرن العشرين مهدي حمود الفلوجي
- ٥ - الحياة عند الفيلسوف اقبال في تحصيل مهدي حمود الفلوجي الشخصية •
- ٦ - اقبال شاعر الشرق اعزاز حسين السكرتير الأول للسفارة الباكستانية ترجمة مهدي حمود الفلوجي
- ٧ - الدكتور محمد اقبال •• شاعر الاسلام .. نور الدين الواعظ المحامي وفيلسوفه
- ٨ - كلمة سفير أفغانستان في العراق الأستاذ العلامة خليل الله خليلي فيلسوف الشرق
- ٩ - قصيدة شعرية باللغة الفارسية الأستاذ الشاعر العلامة بعنوان « بريالين (اقبال) روشن شمعہ فیض » خليل الله خليلي
- (شموع الفيض تير مرقد اقبال) ترجمة الأستاذ محمد طاهر نسيم أحد منتسبي السفارة الأفغانية بغداد
- ١٠ - نظرة في تراث اقبال الدكتور حسين محفوظ

المقدمة

ان الانسان عندما يفوحس في بحر التاريخ العالمي الواسع الأرجاء ، يجد العبر في كثير من السير ، وما سيرة اقبال وحياته ونضاله ، الا واحدة من تلك العبر والسير •

فهو مخلص في عقيدته الدينية والديوية مسطراً الحق والحقيقة للحاضر والمستقبل ، ومستلهماً المعرفة والانسانية من تاريخ الاسلام المجيد الذي هو ضالته المنشودة •

وانه لم يأل جهداً بالوقوف على أهم النشاطات الفكرية حيث أسهم اسهاماً فريداً في تطور أسباب الحضارة كما وضع كثيراً من القواعد في تقدمها واستمرار ديمومتها •

ان هذا المركز العظيم للنشاط الثقافي البشري الذي قام به اقبال وأمثاله من العظماء ، هو الذي يعكس نفسه بل ينعكس هو نفسه في سير العظماء والنوادر من مثليه والمساهمين اسهاماً كاملاً في شموخ كيانه الضخم العريق الثابت الاسس ، وهنا تكمن الأهمية بدراسة أولئك العظماء والاطلاع على تطورهم البشري ، والفكري ، والعاطفي ، والوقوف على أسرار معارفهم وتواجههم وتفهمها تفهماً عميقاً يكشف كوامن الماضي ويرسم صورة المستقبل •

ولما كان اقبال الشاعر والمفكر والفنان والبعثي العظيم من الصفوة النادرة من عظماء التاريخ البشري الطويل العريض ومن أكثرهم تنجاً وأغزراً مادة وأكثرهم تنوعاً في مجالات النشاطات الثقافية الانسانية زيادة على كونه

مثلاً لأدب وفكر وفلسفة لمجموعة بشرية كبيرة جداً (وهي شبه القارة الهندية) • كان من الواجب العناية التامة لدراسته دراسة عميقة تنفذ الى أدق مكونات قدرته الشعرية والفنية والأدبية والفلسفية ونستلهم أشعة فكره الوقاد وأضواء احساسه العميق المتوهج ونشرها للبشرية الطامئة اليها لنروها من كثر مواهب أحد أنبائها البررة النادرة وجود أمثاله في تاريخها ونغذيها من حقول علومه ومعارفه وآدابه •

لذا عزمت على اخراج هذا الكتاب الذي هو مجموعة من الكلمات والخطب التي القيت في بغداد بتاريخ ١١/٩/١٩٧٧ وفي مدينة كراچی في ١٦ و ١٧/١١/١٩٧٧ بمناسبة الذكرى المئوية على ميلاده وما تحده الخطب وهذه الكلمات الا قليل من فيض بحر اقبال وشخصيته الفذة •
آمل أن أكون قد قمت بقسط قليل من واجبي نحو هذا العالم الجليل وهذا المصلح الكبير والله أسأل أن يسدد خطى العاملين لخير أمتهم ويلاهم للاعتراف من كنوز المعرفة والله ولي التوفيق ؟

مهدي الفلوجي

**كلمة السيد سفير الجمهورية الباكستانية
الاسلامية - بغداد**

الأستاذ معز الدين احمد

التي القيت في الاحتفال المئوي لذكرى ميلاد

العلامة الدكتور محمد اقبال في يوم ٩/١١/١٩٧٧

في دار السفارة الباكستانية - بغداد

ترجمة السفارة الباكستانية - بغداد

حضرات السيدات والسادة :

نحتفل اليوم بالذكرى المئوية لميلاد العلامة محمد اقبال • وانه من
دواعي الفخر ان أشارككم في تكريمه بهذه المناسبة •

أعرب عن أسفي الشديد لعدم استطاعتي مخاطبتكم باللغة العربية ،
والتمس سماحكم لمخاطبتكم باللغة الانكليزية التي أصبحت لغة الاتصال
والتفاهم نتيجة للظروف •

ولد العلامة اقبال في سيال كوت ، وهي مدينة مهمة في مقاطعة
البنجاب ، في الباكستان • تلقى تعليمه الأولي عند رجل ذا ثقافة عالية ،
وأديب شرقي عظيم ، وهو شمس العلماء مير حسين • فتلقى عنه الاسس
العامة في دراسة اللغة العربية واللغة الفارسية ولغة الاوردو ، اضافة
الى الانكليزية • وفهم القرآن الكريم والفقه والحديث فهما صحيحاً •

بدأ اهتمام اقبال بالشعر منذ السنوات الاولى من حياته الدراسية •
وقد طور أسلوبه متأثراً بشاعر الاوردوية الشهير داغ دلهي • وفي إحدى
المناسبات أعاد داغ لاقبال كتابه الخطي للأشعار مع ملاحظة يقول فيها
ان أشعاره لا تحتاج الى تنقيح ... لقد كان هذا تكريم فريد من نوعه
لشاعر شاب من أستاذ شعر ذائع الصيت •

بعد ان تخرج من جامعة البنجاب ، التحق اقبال بجامعة الكمبرج
لاتمام دراسته العليا ومنها الى ميونخ حيث حصل على درجة الدكتوراه
في الفلسفة . لقد أتم أيضاً دراسته للقانون في لندن وأصبح أستاذاً
في اللغة العربية بجامعة لندن . ولدى عودته الى وطنه ، لينضم اقبال الى
أعضاء الكلية الحكومية في لاهور بدوام جزئي كأستاذ في اللغة الانكليزية
والفلسفة . وبعدها ، أصبح عميد مدرسة الدراسات الشرقية ورئيس قسم
الدراسات الفلسفية في جامعة البنجاب - وهو المركز الذي بقي محتفظاً به
لعدة سنوات . وقد خدم في عدة جمعيات أقامتها الحكومة البريطانية
لتنفيذ برامج الإصلاحات التعليمية في الهند . وقد تم جمع ونشر وجهات
نظره في الموضوع من قبل معلم هندي آخر معروف - وهو الحواجه
غلام سعد الدين - . وقد أسمى كتابه (فلسفة اقبال التعليمية) ، وهي صالحة
اليوم ، كما كانت عند اصدارها .

وفي سنة ١٩٣٣ دعي كضيف من قبل حكومة افغانستان لاسداء النصيحة
اليهم في أمور عامة تتعلق بالتعليم والتوصية للقيام باصلاحات ادارية في جامعة
كابل وقد أنتجرت هذه التوصيات بصورة كاملة .

لقد طور اقبال اهتماماته في مجالات عديدة ، عدا كونه شاعراً
وفيلسوفاً ، ومحامياً ، وتربوياً ، أصبح أحد كبار رجال الدولة والسياسة
في الهند . وخلافاً لبعض المبالغة الآخرين ، كان باستطاعته ان يبلغ مركزاً
رفيعاً في مثل هذه المجالات المتنوعة .

كان معروفاً كمحامي واضح الرأي وأميناً في تعامله . ولم يكن جمع
المال هدفه قط . لذلك فان الوقت الذي خصصه لمهنته كان لضمان مستوى
معيشي لائق - والذي تمتع به طوال حياته .



(١) الأستاذ معز الدين أحمد سفير الجمهورية الباكستانية - بغداد
عند لقاء كلمته في ١٩٧٧/١١/٩ في دار السفارة الباكستانية بمناسبة
الذكرى المئوية لميلاد العلامة اقبال •

كان هدفه العظيم هو تأليف كتاب الشرع الاسلامي • حتى أنه كان قد اختار عنوانه المسمى (البناء الجديد للشرع الاسلامي) • وقد كتب لبعض أصدقائه : « اذا استطعت اتمام هذا الكتاب ، فسأموت بسلام » ، ولكنه لم يستطع انجازه بسبب مرضه المزمن بعد سنة ١٩٣٤ •

وقد لعب اقبال دوراً مهماً في الحياة السياسية لشبه القارة الهندية خاصة كمهندس عمل لبناء باكستان •

بعث القائد الاعظم محمد جناح الرسالة التالية كتغزية لجاويد اقبال ، لوفاته اقبال « بالنسبة لي ، كان صديقاً ، ومرشداً ، وفيلسوفاً ؛ وخلال أفسى الظروف التي واجهتها عصبة المسلمين وقف كصخرة ولم ينثني للحظة واحدة ،

كما هو معروف كان السيد محمد علي جناح عضواً في الجمعية الوطنية الهندية وكذلك في عصبة المسلمين ، لعدة سنوات وذلك منذ أن آمن في احدى مراحل حياته بأن الاستقلال من الحكم الاجنبي لن يتحقق الا عن طريق التعاون المشترك بين الطوائف المتعددة التي تقطن شبه القارة الهندية ، ولكن جهوده لتحقيق هدفه باءت بالفشل • وفي الواقع ، كانت هناك فترة من (١٩٣١) الى (١٩٣٤) عندما زادت حدة شعوره بهذا الفشل حيث أنه أصر على ترك الهند وفكر جدياً أن يستقر في انكلترا • وقد حدث هذا كله في الوقت الذي كان العلامة اقبال حاضراً في مؤتمر الطاولة المستديرة ، الذي عقدته الحكومة البريطانية في لندن لتعميم قانون متفق عليه للاصلاحات الدستورية في الهند ، ولدينا شهادة القائد الاعظم نفسه - في ثنائه للعلامة اقبال جماهيرياً - في خطابه الرئاسي الموجه لعصبة المسلمين سنة (١٩٣٤) ، بأن نصائح وتوجيهات العلامة اقبال جعلته قادراً على التغلب

على حالة اليأس والرجوع الى الهند لينذل جهوداً أخرى من أجل حل
العقدة السياسية في الهند .

ان آراء الدكتور اقبال كانت معروفة جيداً منذ عام ١٩٢٧ . لخص في
خطاب الرئاسة الموجه الى عصبة المسلمين في دورتها المنعقدة في الله آباد ،
الهوة الموجودة بين الافكار السياسية للطائفتين الرئيسيتين في الهند وقال انه
من المؤلم أن نرى ان محاولتنا لايجاد قاعدة للتجانس الداخلي مثل التي
عبر عنها « رنان » في دراساته عن نشوء الاممية قد فشلت حتى الآن ، .
سأل اقبال « لماذا فشلت محاولتنا » ، ربما لاننا لا نريد أن نعرف
بأن لكل فئة الحق في حرية التطور حسب تراثها الحضاري الخاص بها .

بعد مضي عشر سنوات ، وفي عام ١٩٣٧ ، ومن خلال استعراض التوتر
الطائفي والنزاع الذي كان سائداً في الهند حين ذاك ، كتب اقبال
الى السيد جناح « انه من الواضح أن الطريق الوحيد لهند مسالمة هو اعادة
تقسيم البلاد على أسس العلاقات العرقية ، والدينية ، واللغوية » .

وفي أوائل حياته ، كانت كتابات اقبال بلغة الاوردو ، ولكنه تحول
الى الفارسية ، متبعاً أسلوب مولانا الرومي ، وأعظم أعماله كتبت بتلك اللغة .

قال الاستاذ آربري ، وهو أحد عظماء المستشرقين في انكلترا ، في
مقدمة ترجمته لـ « أسرار - ي بيخودي » ان أسلوب اقبال اصطلاحي الى
درجة كبيرة ، فكره ليس من النادر أن يكون معقداً . وغالباً ما يكون على
درجة عالية من الدقة بالنسبة للغة التي يختارها ليعبر بها عن فكره ، بينما
تجعل غزارة مخيلته الشعرية القارئ غير متنبه لسرعة الانتقال وغير
مدرك للوحدة التصويرية والاستيعابية المتضمنة في تنوع صوره البلاغية . .

لقد أشرت سابقا ، بأن اقبال كان تلميذا حاذقا في الفلسفة والآداب الإسلامية . إضافة الى ذلك ، توفرت له الفرصة للقيام بدراسة واسعة للأعمال الفلسفية والعلوم الحديثة في أوروبا . وهكذا فقد كان قادرا على ملاحظة نشوء الفكر الانساني منذ ظهور الاساتذة اليونانيين مثل سقراط و ارسطو طاليس عبر العصور - وظهور المسيحية وبعدها الاسلام - وبعد ذلك تفاعل الفلسفات القديمة مع الحديثة ، وتأثيرها على عقول المفكرين المسلمين ، وعلى الموجات العارمة التي شهدتها تطور الفكر الانساني في معظم النواحي المعروفة في هذه الاقطار وأسبانيا ، وتأثيرها على أوروبا في القرون الوسطى ، والتي تبعته فترة من السبات النسبي في البحوث العلمية للمفكرين المسلمين . وفي نفس الوقت كان هناك انفجار مناجى للبحوث العلمية ولتطور المعارف الانسانية في أوروبا وبعض المناطق الاخرى . وقد حلل اقبال كل هذا في ذهنه ورسم استنتاجاته الخاصة به .

ان أعماله في الحقيقة هي نتاج هذه الدراسة التي استمرت طوال حياته لتربينا نهضة وسقوط الأمم والافراد والمبادئ الاساسية التي يجب عليهم معرفتها واتباعها اذا أرادوا النجاح في هذا العالم المادي وكذلك الوصول الى هدوء البال ، والذي يعتبر أهم من المكاسب المادية بكثير . في هذا البحث ، أستطيع ان أشير بصورة عامة على مجالات ابحاثه راجيا إثارة اهتمامكم في خطه الفكري حتى يستطيع الكثير منا دراسة أعماله بشكل أوسع ، عندما يسعنا الوقت ، ومن حسن الحظ ، لقد ترجمت أعماله الى عدة لغات ، وأكاديمية اقبال في باكستان تبذل كل ما في طاقتها لتجعل أعماله متوفرة لاعداد أكبر من الناس وذلك بترجمتها الى اللغات الاخرى بقدر الامكان .

ولا يعتبر تركيز اقبال على تعاليم الاسلام كمبادئ مثالية يتبعها الانسان - لصالحه - تفاخراً طائفاً ضيق الذهن منه ، وانما هي قضية قناعة أصيلة التي جعلته يفعل ذلك . وقد استفاد في عمله هذا من معلوماته الواسعة عن الآراء الاخرى كما أنه اعتمد في تكوين استنتاجاته على الدراسة التحليلية التي قام بها . ان مقالاته المنشورة بعنوان « اعادة بناء الفكر الديني في الاسلام » تشير بوضوح الى عمق معرفته والقيمة النسبية للآراء المختلفة .

الحياة - طبقاً لاقبال - هي عملية استيعابية الى الامام جوهرها الخلق المستمر للرغبات والمثل العليا . أما الشخصية فهي حالة توتر كما انها من أئمن منجزات الانسان . عليه فان الانسان يجب ان لا يتراجع الى وضع خامل . وهكذا ، فان النفس الانسانية لها ثمة رسالة على الارض ذات اتجاهين . من ناحية ، عليها أن تكافح بيئتها وأن تغلب عليها . وبذلك تنال حريتها وتتقرب من الله . ومن ناحية أخرى ، على النفس الانسانية ان تحتفظ بحالة توتر ثابتة وبذلك تنال الخلود . وبلوغ الحرية والخلود تغلب النفس على المكان من ناحية وعلى الزمان من الناحية الاخرى .

هذه خلاصة فلسفة اقبال حول الذات . ومن الواضح ان قاعدة هذه الفلسفة هي الايمان القوي في تطور الانسان في ثلاث اتجاهات - الحرية الشخصية ، والخلود الشخصي ، وظهور الانسان المتفوق . وبلوغ هذا لا يتم الا عن طريق تحصين الشخصية . يقول اقبال « ان فكرة الشخصية تعطينا مقياساً للقيمة . فهي تحل مشكلة الخير والشر - فالشيء الذي يساعد على تقوية الشخصية فهو جيد ، والذي يضعفها فهو سيء . الفن ، والدين ، وعلوم الآداب - يجب أن تقيّم من خلال وجهة نظر الشخصية » . يشير اقبال الى العوامل والاضغوط التي تقوي الشخصية وهي :

- (١) الحب (٢) الفقر (٣) الشجاعة
(٤) التسامح (٥) الكسب الحلال والعيش الشريف
(٦) المشاركة في النشاطات الاصيلية والحلافة .

الحب بالنسبة لاقبال يعني ، الروح المولدة للكون ، وهي الروح التي يجب أن تحل معضلة الحيرة الانسانية وتزود الانسان بمضاد طبيعي لكل عيوبه . كتب اقبال لنيكولسون البروفسور في جامعة كامبرج « ان هذه الكلمة تستعمل بمعنى واسع للغاية وهي تعني الرغبة في الاستيعاب والامتصاص . وشكلها الاسمي هو خلق القيم والمثل ومحاولة ادراكهما » .

ان النقطة المضئفة التي اسمها النفس
هي نقطة الحياة تحت التراب
وبالحب تصبح أطول عمراً
أكثر حياة ، أكثر توهجاً ، واحترافاً
فلتحول حفنة الطين الى ذهب
وقبل عتبة الانسان الكامل
من نبيذ الحب تنبع عدة خصائص روحانية
وضمن صفات الحب الولاء الاعمى ،
كن مجباً وفيماً في ولائك لمن تحب ،
حتى يمكنك ان ترمي الانشودة وتمسك بالرب .

الحب لا يشعر بالاوزار ، ويستخف بالمتاعب ، ويجرب ما هو فوق طاقته ، ولا يعتذر بحجة المستحيل ، لأنه يعتبر كل الاشياء محللة له ، وكل الاشياء ممكنة . ولذلك فان بإمكانه أن يتكفل كل شيء ، ويكمل أشياء كثيرة - ويجد لها النتائج عندما يصاب الذي لا يحب بالاغماء ويرقد أرضاً .

الفقر : ان من الصعب أن نجد كلمة مناسبة له في الانكليزية .
انه ليس الفاقة والحاجة . انه يعني الترفع عن مكافآت هذا العالم ،
والآخر ، والتي يطمع فيها معظم الفرد المادية ، باكتشافه درعاً يقيه من
الاعراض التي تحيط بالفرد في هذا العالم . واقبال يضع أالفقر في أسلوبه
الذي لا يقلد ، على هذا النمط : -

فقر واحد يعلم الصياد فن الصيد
وفقر واحد يعلم أسرار قهر العالم
وفقر واحد يجلب للأمم الفاقة والكتابة
وفقر واحد يهب الطين ماء الحياة .

ما هو فقر المؤمن ؟ - انه الانتصار على المكان والزمان . انه يهب العبد
صفات السيد . « ففي مسودة كتبها تشرشل لاتي . اى . لورنس كاد
أن يصل لتعريف صحيح للفقر - وذلك عندما قال « ان العالم ينظر بشيء من
الحشية الى رجل يظهر غير مكترث ، وغير مبال بالمسكن ، والمال ،
والراحة ، والمركز أو حتى القوة والشهرة . يشعر العالم ، لا عن عدم
ادراك ، ان هناك شخصاً خرج على نواميسه ، شخص يضع العالم كل
اغرائاته أمامه بلا جدوى ، » .

التسامح : - ان التسامح يمثل بالنسبة لآراء الناس الآخرين وأخلاقهم
قوة ذا مرتبة عالية ، وتربيته ذات فائدة لأي مجتمع انساني وقد أشار
اقبال الى « ان مبدأ عمل استمرار النفس هو احترامها كما انه
احترام الآخرين ، » .

ان من الخطأ التفوه بكلمة رديئة

الكافر والمؤمن هما من خلق الله
تتكون الانسانية من احترام الانسان
لذا أعرف كرامة الانسان
الانسان المحب يهتدي من الله
وهو كريم مع الكافر والمؤمن على حد سواء.

الكسب الحلال : في لغة الفقهاء ومعلمي اللاهوت تعني « التحصيل
الغير مكتسب عن طرق خبيثة ، مثل الغش والنصب والسرقة » ، بالنسبة
لاقبال فان لها معنى أوسع - وهي الحصول على الاشياء أو الافكار عن طريق
المجهود والكفاح الشخصي فقط . وهذا يعني وصف العلاج لجميع الذوات
والحياة عن طريق المجهود والنضال وكذلك الاستبعاد الكلي لأفكار
انكار الذات .

أخرج من ترابك النار الخفية
لأنه لا خير في الحصول على ضوء من الآخرين .
« لا تحقر شخصيتك بتقليد الآخرين
احرسها ، لانها جوهرة لا تقدر بـشئ » .
« ان الذي لا يملك قدرة الخلق
بالنسبة لنا لا يعتبر شيء الا كافر وضال » .
« الفضل في أي مجهود خلاق لا يدل على شيء -
ان مجرد المحاولة تكون مؤثرة وخلقة » .

ويستمر اقبال بتعداد المؤثرات التي تؤدي الى ضعف الشخصية -
المؤثرات التي من الواجب التغلب عليها ، ألا وهي : -

(١) الخوف (٢) التسول

(٣) العبودية (٤) الكبرياء

الخوف بأشكاله المختلفة - أي الهم والقلق والغضب والحقد والحجل •
هي أعظم أعداء الجنس البشري ، وهي من أكثر المؤثرات اعاقة للنمو
البشري ، ان الخوف قد سلب الانسان معظم كفاءته وسعادته ، وخلق
جبناء أكثر وفاشلين أكثر من اي تأثير آخر •

ان الخوف يخلق جميع أنواع التطورات العاطفية الغير الصحية والغير
الاعتيادية في الانسان ، والتي تفسد طبيعته وتسفه نموه الاخلاقي •
علماء النفس المحدثون مثل - فرويد ، وينغ وادلر ، تحروا عن تأثيرات
الخوف البعيدة المدى على الطبيعة البشرية وقد أثبتوا أن معظم الشواذ من
البشر ، المشاغب والعجبان والطاغية والدكتاتور نشأوا أصلا بدافع الخوف
المكبوت •

آه ، انك مسجون بين جدران القلق ،

فليعلمك النبي أن « لا تحزن »

فاذا كان هناك اله أمامك ، فلتخلص من القلق ،

وكذلك من فكرة الربح والخسارة

لأن قوة الايمان تضيف للحياة

على الواحد منا ان يتسلو دائماً « لا تخف »

وعندما يذهب موسى الى فرعون

يكتسب قلبه القوة من كلمات « لا تخف »

ان الخوف من أي كان عدا الله يؤذي الفعل

لأنه لص في قافلة الحياة

ذاك الذي فهم سر المصطفى

يرى الخيانة في الخوف •

التسول : - خلافاً للاستعمال العام ، يستعملها اقبال لشمل كل ما ينجز بدون مجهود شخصي •

بالسؤال ، يصبح الفقر أكثر دناءة

وبالتسول ، يصبح التسول أكثر فقراً

فالسؤال يسحق النفس

ويحرم غابة سيناء النفس من الضياء •

العبودية : - وبالمثل ، فإن العبودية تشوه الشخصية وتهين الطبيعة

البشرية وتحط الانسان الى مستوى الوحوش •

في العبودية يقتل القلب في الجسد

في العبودية تصبح الروح حملاً على الجسد

في العبودية تتفرق الجماعة

هذا وذاك يخاصمون ذاك وهذا •

أنفق اقبال وقتاً وفكراً كثيرين لرسم الخطوط الخارجية للمجتمع المثالي

- وهو يضع ثماني متطلبات جوهرية ، وهي :

(١) يجب أن يبنى المجتمع المثالي على اعتبارات روحية مثل الاعتقاد

بوحداية الله •

(٢) يجب أن يتركز حول قيادة ملهمة أو النبوة •

(٣) يجب أن يمتلك دليلاً ليرشده •

(٤) يجب أن يكون له مركز •

(٥) يجب أن يكون له هدفاً واضحاً يجاهد نحوه كل المجتمع •

- (٦) يجب ان يتفوق على قوى الطبيعة •
(٧) الانسا الجماعية يجب أن تنمى بنفس الطريقة التي يتم بها تنمية
الانسا الفردية •
(٨) يجب أن تصان الأمم •

ان الذي يقود الى اتحاد مئات الافراد
ليس الا سرّاً من أسرار التوحيد •
الدين ، والحكمة والقانون هم كل مؤثراته •
القدرة والقوة والتفوق ينبعون منه •
ان تأثيره يرفع العبيد •
وبالفعل يخلق منهم جنساً جديداً
وهو يصرف الخوف والشك ، وروح الفعل تحيا
وترى العين سر الكون ذاته •

لقد بينت بايجاز شديد التيسارات الاساسية في فكر اقبال والتي
طورها في أعماله • ان هذا التلخيص هو مجرد صورة صغيرة • فقد تركت نواح
عديدة لضيق الوقت ، ولكن الذين قرأوا أعماله يعلمون كيف حرص اقبال على
الاسهاب في التحدث عن تطور المعرفة الانسانية عبر العصور - وهو خط
جعله يركز تركيزاً غير لازم على طور من أطوار البحث العلمي ، مخلا
في ذلك بالموازنة التي وحدها تقود الى الكمال • ان مناقشته القيمة
للنظريات الميتافيزيقية المعقدة والمتعلقة بشطور الانسان ، ووجود الله وما شابه
ذلك ، لا يمكن ذكرها بشكل عابر في هذه المناقشة خوفاً من تشويهاها •
فهي تطلب وقتاً وفراغاً لدراستها بشكل كامل بنية فهمها •

ان اقبال لا ينتمي لباكستان فقط ولكنه ينتمي للعالم الاسلامي كله .
لقد عاش وعمل من أجل فهم أفضل لتعاليم الاسلام . كان مصلحاً متبعاً
أثر الشاه ولي الله من دلهي ، وجمال الدين الافغاني ومفكرين آخرين
من العراق وتركيا ومصر .

انتهمز هذه الفرصة لأشكر حضراتكم ، أيها السيدات والسادة باسمنا
جميعاً الحاضرين لأن تفضلكم بحضور هذه المناسبة قد شرفنا .

الكلمة التي القاها السيد/مهدي حمود الفلوجي

في الذكرى المئوية لميلاد العلامة محمد اقبال

في السفارة الباكستانية ببغداد يوم ٩/١١/١٩٧٧

اقبال شاعراً ومفكراً :

سيداتي وسادتي أيها الحفل الكريم

ان مبحث شعور الانسان بالسعادة لا يقتصر على مصدر محدد يستمد منه تدفقه المندفع كالسيل من أعماق نفسه غامراً كل كيانه برونقه البهيج ملتصعاً في عيونه ببريق النشوة البريئة ، مترقراً في أديم وجناته بحمرة الورد في ريمان الربيع . بل هو مرتبط بألف عقد وميثاق مع ما لا عدّ له من المصادر السخية التي تبسط أمامه غيرها عارضة عليه ان يقترف منه ما يشاء .

والشعور بالسعادة بالنسبة لغالبية الناس الذين يرفضهم المفهوم العميق للحياة ويصُـدّ دون رؤيتهم المعنى الحقيقي الذي ينهض من أجل تحقيقه الوجود ، ولا يعلمون عن السعادة الا أنها كامنة بعوامل الربح المادي ، أو الانتصار العاطفي في حل عقدة هجران ، أو تحقيق لحظة اتصال وسوى ذلك من الشعور الساذج بالسعادة الساذجة التي ما ان ينقضي وقتها حتى تخفي متلاشية كتلاشي السراب وكأنها لم تخلق .

غير أن ثمة شعوراً بالسعادة ذا قيمة آنية مستمرة الى غير ما حدّ وهذا النوع هو الذي يتتاب الشاعر أثناء عملية خلق القصيدة وبعد الانتهاء منها ، أو ابتكار الفيلسوف نظرية جديدة لم تخطر على ذهن كائن بشري قبله ، وأمثالهما من الاحساس بالسعادة .

ان هذه السعادة هي التي نقصدها هنا في الوقت الذي نحتفل فيه بمرور مائة عام على مولد العبقري العظيم ، الشاعر والفيلسوف محمد اقبال شاعر الهند والباكستان والامة الاسلامية وفيلسوفها . وانما ساوينا شعورنا بالسعادة لاشتراكنا بتخليد هذه الذكرى السامية بشعور الشاعر الخلاق والفيلسوف المبتكر ، بسعادة خلق الأول عمله الشعري ، وابتكار الثاني لنظريته الفلسفية ، ذلك لأننا نعتقد أن الانسان الذي يكرم عبقرياً من النوع المذكور يتجسد خلال القائه آيات التكريم روح العبقري ويستلهم حالته التي يعيشها حال انغماره في عملية الخلق أو الاكتشاف وبذلك يرتفع شعور المكرم بالسعادة الى مصاف شعور الخلق والابتكار بالسعادة .

ان هذا الشعور الاخير نفسه أخذ بمجامع قلبي ، وملك علي حواسي ، ونفى عن مشاعري هذا العالم المادي الذي يسبح في أمواجه جسمي ، وحملني الى عالم روحي متسام صاف شعرت أنني انفصلت به عن كياني وأصبحت محض روح خالص ، وقد ساورني احساس أنني تحولت الى صورة شعرية مبتكرة من صور اقبال الشعرية المعجزة أو فكرة فلسفية نادرة قفزت الى ذهنه من عالم الغيب فجأة فحطت في مكانها الملائم من تفكيره الفلسفي ، أو خيال خفاق خف الى نواظره وهو يحاول الاستسلام للرقاد فيمنحه السهر اللذيذ ويبعثه نشوة عارمة .

انني أرجو من الاخوان ألا يتصوروا كلامي هذا مجرد اشاء جميل أحاول فيه ان أستدرج العواطف الى شواطئ الاعجاب ببياني ، بل انني أطمح منهم أن يستلهموا حالة عاشق مبهور بجمال معشوقه حد الجنون ، ويشعر هذا العاشق بأنه سيحيى ساعة قرب المعشوق ، ساعة أمدتها مائة عام ، فكيف تكون مشاعر ذلك العاشق ؟ انني أترك التقدير لكم ايها السادة .



(٢) السيد مهدي حمود الفلوجي عند القاء كلمته في ١٩٧٧/١١/٩

في السفارة الباكستانية بمناسبة الذكرى المئوية لميلاد العلامة اقبال

فأقبال في هذه الساعة التي تنجسها مائة عام امتلاً معظمها ابداعاً
وابتكاراً وكفاحاً وثورة وكتابة ونقداً وتوجيهاً وارشاداً • مائة عام
جلُّها عمل متواصل في سبيل رفع راية الشعر فوق أجواز السماء ، واقامة
الفلسفة على قاعدتها الراسخة بعد تشذيبها من زوائدها وتلقيحها بابتكاراته
التي أملاها عليه العصر وتجاربه الفنية ، العقلية والعملية ، التي استوحاها
من توقد ذهنه وغنى حياته ، عاقداً قرآناً بينها وبين الدين الاسلامي بعد
تجديد بنيانه المكين ليهيء عالماً أفضل يعيش بظله الناس نواباً لخالقهم بعد
أن يرفضوا أن ينفخوا أنفسهم في أي شيء مهما كان ، وان يلجأوا الى
تحقيق ذاتهم بعد أن يسحقوا ضعفهم ويمنحوا أنفسهم قوة ايمانهم بالخالق
والحياة - لينطلقوا من ذاتهم المحققة في حركة تصاعدية مستمرة في سبيل
الحصول على الكمال الذي لا تمتلكه الا الذات العليا التي هي ذات الله
المتفردة والتي لولا تفرد لها استطاع الخالق أن يخلق هذا الكون العظيم ،
وبمحاولتهم التمثل بصفات الخالق كالذات المتفردة والكمال ، فانهم
سيبلغون لا محالة اذا التزموا بالمنهج القويم الذي يحقق لهم حريتهم
ويملكهم شخصيتهم اللتين بواسطتهما يقتربان من الذات العليا وتفردتها
وكمالها ... وفي هذه الحالة يستحقون أن نشد على أيديهم وأن نهنتهم
على فوزهم بصفة نيابة الخالق • هذه الدرجة التي اذا فاز بها كل فرد
من الافراد قفز المجتمع من الارض الى السماء ، اذ انه حينئذ يحقق المجد
الالهي الاعظم •

لقد كانت قصائد اقبال (أسرار الخودي) و (رموز بيخودي) التي
تحدث فيها اقبال عن فلسفة الذات لا يتجاوز المفهوم الذي عرضناه ،
وهو ينهج في نظمها منهج أستاذه جلال الدين الرومي في كتابه الجليل
(المثنوي) ويستوحي أفكاره في الذات كما يستفيد في عرض نظرية

الانسان الكامل من أفكار دينية اسلامية ومن مفكرين اسلاميين غير مهمل الاستفادة من الفلاسفة الاوربيين بما يتلاءم وروح الاسلام .

ان حياة اقبال سلسلة متصلة الحلقات اعتباراً من يوم ميلاده في الثاني والعشرين من شهر شباط عام ١٨٧٧ حتى وفاته في ٢١ أبريل سنة ١٩٣٨ وقد عاش هذين التاريخين بكل ما يمتلك من احساس مرهف ، وعقل ناضج ، وجهد متواصل ، وكفاح لا يعرف الهدوء ، عاشهما طالباً وأستاذاً ومحامياً .. عاشهما شاعراً عظيماً أرغم حتى المستحيل على الاعتراف بقدرته الجبارة ، عاشهما فيلسوفاً متجدداً متحرراً ، مبتكراً لنظرية جديدة تخلق التقدم الامثل لمجتمعه وترفع عنه سحب الشقاء والجهل .. عاشهما سياسياً نائراً ومصلحاً اجتماعياً ..

وماذا كانت النتيجة ؟ ..

لقد رسا زورقه أخيراً بصمت محزن في ميناء النهاية التي قادته الى اللانهاية .. اللانهاية التي يحن الى حل رموزها البشر منذ وجودهم على الارض ولكنهم لم يظفروا منها الا بقهقهات الاستهزاء .

ولكن بعد ان حمل نفسه وقلبه وروحه وسافر في قارب النهاية الى اللانهاية .. ماذا ترك لنا ؟ ماذا ترك لعالمه ؟ !

انه أخذ شفاف قلبه وقد ثقبه الالم على تعاسة أهل الارض وترك لهم عصارة قلبه شعراً عبقرياً ساحراً يقرأونه فينتشون به ، .. ويبصرون طريق الحياة السوي ويتجنبون المشاك ، .. ويوفوا على ينابيع المطامح الصافية فيترفون منها بكل سعادة وهناك كلما يشتهون .

انه ترك رقيق روحه مستوطناً كل روح نقاءً أبدياً يمنحها عن أن تقترب
من الاوحال •

انه ترك لهم فكره دليلاً فلسفياً يقودهم كالشمس الساطعة في الظلمات
القائمة وبلّغهم أقصى ما يحلمون به من المطامح المشروعة •

انه ترك لهم كلما يحتاجونه اليوم في الارض وما يحتاجونه غداً في
السماء • فهل يريدون منه أكثر من ذلك ؟

أعطى اقبال لشعبه الذي أراد توحيده وعمل من أجله ففشل ،
فلجأ الى الدعوة الى تكوين دولة اسلامية تضم المسلمين ، ودولة غير
اسلامية تضم غيرهم من سكان الهند لقطع دابر المنازعات وانتهاء المشاكل
ونشر أجنحة السلام على الارض الهندية •

أعطى اقبال لأمة تجدد دينها الذي ارتفعت بواسطته أمس الى أرقى
مراقي الحضارة ولاستطاعت أن ترفع اليوم أكثر لو التزمت به •

أعطى العالم أجمع نظريته في الذاتية والانسان الكامل لينقذه من ضعفه
وافناء نفسه بسواه •• يمنحه حريته وشخصيته اللتين يحققان فرديته
توصلاً الى درجة الكمال والنيابة •

هذا بعض ما أعطاه اقبال للعالم ••• فماذا أعطى العالم لاقبال ؟

لم يبخل العالم النقي الوفي على اقبال بكل ما يستطيع ، ولن يبخل ،
وحسبه أن له تمثالاً من النور في قلب كل حي - أقول حي - لأن كثيراً
من الناس يبدون أحياء ولكنهم أموات في الحقيقة وهؤلاء ليس لاقبال
ولا لنا أي اهتمام بهم •• حسبه أن قصائده ترنمها الأرواح الطاهرة ••
والنفوس الزكية •• حسبه أن تتخذ البشرية الحرّة أحد قوادها القلائل

في معركة الحرية مستهدية بآثاره الخالدة بعد أن خولها التصرف بها
ولكن بأمانة •

نحن لا نملك يا أقبال الا أن نحبيك تحية البحر للشمس وتحية الحقول
للمطر •• وستبقى حياً أزلياً مادام في العالم قلب ينبض ومادام في الأفق
بريق يومض •

وتحية اجلال واحترام لك ولشعبك المناضل - الشعب الباكستاني
الصديق • ولتجد قوى الخير في العالم من أجل التحرر والتحرير وبناء
المجتمع الزاخر بالمستقبل الفاضل وبالحياة الحرة الكريمة ، وتحية من
عراق السابع عشر من تموز ، عراق العروبة ، عراق الثورة ، عراق
الوحدة والحرية والاشتراكية الى كل الشعوب المناضلة وخصوصاً الى
الشعب الباكستاني فالى أمام أيها الشعب الصديق في اقتفاء سير زعيمك الراحل
اقبال لتنال مكائك اللائق ومقعدك السامي بين الامم والسلام عليكم •

المحاضرة التي القاها السيد مهدي حمود الفلوجي

في مركز مؤسسة همدان الطبية

في كراچي يوم ١٦/١١/٩٧٧

باللغة العربية - وترجمها الى اللغة الأوردية الدكتور موسى -

أحد منتسبي مديرية الآثار في كراچي - باكستان



(٤) السيد مهدي حمود الفلوجي عند القاء كلمته في قاعة مركز مؤسسة همدر

في كراچي في ١٦/١١/١٩٧٧ بمناسبة الذكرى المئوية لميلاد العلامة اقبال

بسم الله الرحمن الرحيم

من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ،
ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا • صدق الله العظيم •

سيداتي وسادتي

أيها الحفل الكريم :

كتب ان يكون لمواطن عربي عراقي من أهل العراق الثائر - عراق
السابع عشر من تموز ، عراق الثورة عراق الوحدة والحرية والاشتراكية ،
بين ظهرا نيكم ، لزيارة باكستان الحبيبة المسلمة ، باكستان المناضلة ،
باكستان الأم الرؤم لأبنائها البررة • وكان هذا العراقي هو المائل أمامكم •
استمبحكم عذراً وأقدم لكم أسمى وأعظم آيات الشكر والتقدير والاحترام ،
مقدماً أحر وأعظم تحية لمؤسسة (همه درد) ورئيسها العالم الجليل الحكيم
محمد سعيد ، الذي هو بحق أعظم صديق لي ولأهل العراق خاصة ،
وللمسلمين عامة • وقد حضر هذا العالم بغداد ما بين ٢٥ - ٣٠ من شهر
تشرين الأول الماضي ، لحضور الحفل التكريمي للمؤرخ الانجليزي
« توينبي » بدعوة من الحكومة العراقية ، واتحاد المؤرخين العرب ، وناهيكم
عن هذه الشخصية المحبوبة ، ذات الخلق الرفيع وسعة الاطلاع وحسن
البيان ، وتمنيكم جميعاً ، « أن تروا هذا الحكيم - محمد سعيد » عندما
ألقى محاضراته القيمة بعنوان « المؤرخ توينبي - أدرك التاريخ من خلال

ادراكه للاسلام ، - Toynbee the Historian - A Perspective
A Prospect for Islam

وكانت هذه المحاضرة قد أذاعها من منبر المؤرخ العربي ، في قاعة الرباط ببغداد ، وقد أخذتها الاذاعة والتلفزيون العراقية ، وقدمتها الى الشعب العراقي ، أثنى هدية في تلك الايام الحافلة ، اضافة الى أن الصحف والمجلات العراقية ، قد زينت صحائفها الأولى بهذه المحاضرة ، مع صورة العلامة الحكيم محمد سعيد .

وبهذا يعتبر بحق انه مثل باكستان في هذا المؤتمر على الوجه الاكمل ، وعبر عن شعوره الفياض الصادق باخلاص وأمانة لقضية العرب والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، وحقق في انشاده هذه المحاضرة الوحدة المتكاملة بين المؤرخ المنصف والمسلم الشريف النبيل .

واني اتقدم بالشكر الجزيل لهذه الشخصية الباكستانية الفذة التي أتاحت لي هذه الفرصة ، لأتحدث اليكم عن واحد من أشهر ، صناع الأدب والفلسفة والتاريخ العالمي والاسلامي ، ألا وهو العلامة الكبير ، الشاعر والمفكر والفيلسوف « محمد اقبال » .

أيها السيدات ، أيها السادة :

ايها المستمعون ، اسمحو لي بأن أتحدث اليكم ، وهاكم اقبال الثائر الحر ، الشاعر والفيلسوف - بكلمة عنوانها :

« ثورة اقبال الفكرية والشعرية في القرن العشرين »

ان أعظم أوسمة الفخار ، وأكرم ألقاب المجد ، وارتفاع مراتب الملك لتضاهل ازاء نيل شرف وقوف المرء موقفي هذا مكرماً شاعر الباكستان والهند وفيلسوفهما العظيم ، بل شاعر الشرق أجمعه في عصره وشاعر الاسلام وفيلسوفه في هذا القرن ، العلامة محمد اقبال وذلك لمناسبة مرور مائة عام على اکتحال عيني الوجود بنهار مجيئه المتألي .

ان فجر الثاني والعشرين من شباط عام الف وثمانمائة وثلاثة وسبعون للميلاد ، كان فجراً خالداً في تاريخ شبه القارة الهندية ، وفي تاريخ الباكستان ، وفي تاريخ الأدب والشعر والفلسفة ، وفي تاريخ الدين الاسلامي ومعتقيه من الشعوب والأمم المختلفة على امتداد مساحة الكرة الأرضية وأزمنتها(١) .

ان من حق ذلك اليوم أن يتيه اختيالا على الايام ، ويشمخ زهواً وافتخاراً على الدهر .. اني لأتخيل نجوم سمائه يتهاشن فيما بينهن فرحاً واستبشاراً ، ويراشقن بالاشعة الفضية مرحاً وجوراً ويبعثن الى غابات « البنجاب » وحدائق « سيالكوت » (احدى مدن مقاطعة البنجاب) مسقط رأس اقبال) برسائل التهاني والغبطة ، التي تكتبها الأضواء ، وتحملها الرياح الباردة .. وكيف لا تحتفل الطبيعة ، ولا يعقد الكون مهرجاناً ، وقد ولد نابغة عبقرى لا يسعد الله بمثله الارض الا نادراً .

ان من أكثر الامور اثارة للغرابة أن برد شهر شباط القارس وجليده الغزير لم يمتلك جرأة التسلل الى عروقه لطبع دمائه بطابعمها .. بل بعكس ذلك فان ما يتصفان به من سمات باردة قد تحولت في دماء الوليد العبقري لها مقدسا بقي مضطربا طوال حياته وازداد اشتعالا على اشتعال بعد رحيله الى الضفة الاخرى مكوناً منارة أبدية تسكب أنوارها الوقادة في آفاق البسيطة الواسعة غاسلة عنها الظلمات الكثيفة ، وهادية أبصار البشر الى الحقيقة الأزلية التي هي ينبوع السخي المتدفق بالسعادين الدنيوية ، والأخروية .

(١) كتاب (فكر وفن اقبال) تأليف السيد عبد الواحد « باللغة الانكليزية »

صفحة ٣ سطر ١٢ .

وقد ذكر أن تاريخ ميلاد اقبال هو يوم ٩/١١/١٨٧٧ وهذا هو

اليوم الذي نحتفل به .

ولكن ما هو الجوهر الذي أنجب هذه النارة المجيبة التي تتحاشاها
الرياح ، وتفتسل في بريقها ملايين العيون من أداني الأرض وأقاصيها ؟
اننا لا نحتاج لكي نرضي فضول هذا السؤال الى كثير غناء فما بوسعنا
الا أن نقول ببساطة انها الروح الطاهرة السامية ملأت الزمن ومازالت
تملؤه بأسمى ما يطمح اليه من آيات الفكر والقلب والعمل المتواصل المثمر
.. انها روح اقبال متحدة بعقله وقلبه متبلورة عن عبقریات مدهشة ومواهب
فريدة قلل أن وجود بها الدهر .. تلك العبقریات والمواهب التي أغنت
عصرنا بشمارها الناضجة التي لن تنسى الأرواح مذاقها ، ولا تفارق النفوس
رائحتها الذكية العطرة ، ولا يهاجر شعاعها الثاقب العيون الى سواها
أبد الدهر .

فكيف نمت تلك المواهب ، وازدهرت ، واستوت على سوقها وآت
أكلها ؟ لقد كان الحجر الأول في البناء الشامخ لقدرات اقبال الأدبية
والشعرية ، وتطلعاته الفكرية والفلسفية ، دراسته للقرآن على مرحلتين
الأولى : على أبيه حينما كان طفلا صغيرا جدا لا تسمح له سنُّه بالتعلم
خارج المنزل . وقد استطاع ان يحفظ خلال تلك المرحلة معظم سور وآيات
القرآن الكريم . الثانية في أحد مكاتب تعليمه وذلك بعد أن تقدم في العمر
قليلا وأصبح قادرا على مزاولة الدرس خارج المنزل . وقد كوّن تعلُّم اقبال
للقرآن وحفظه سورة ، في نفسه قاعدة ثقافية علمية ثابتة الدعائم مما يسّر
له في مستقبل أيامه من سرعة استيعابه للمواد العلمية والثقافية ، وأكسبه
منطقاً سليماً قوياً وحبّة قوية ، وتصيراً ناضجاً في قصائده وكتاباته .

ولم يكد الطفل النابغة 'ينهي دراسته للقرآن ويبلغ سنّاً تؤهله الى
ممارسة الحياة التي كان يمارسها أترابه حتى 'أدخل مدرسة البعثة
الاسكتلندية في سياتكوت حيث شاعت الصدفة الحسنة أن يكون أستاذه فيها

« مير حسن » الملقب بشمس العلماء صديق أبيه ومن المتضلعين في الآداب الفارسية والعربية زيادة طول باعه في علوم وأحكام الشريعة الإسلامية . وكان من حسن حظ اقبال وحسن حظ الشعر والفكر أن يقوم مثل هذا الاستاذ على تعليمه ورعايته وكان أول المشجعين له على متابعة تجاربه الشعرية ومواصلة تنمية مواهبه في مضاميرها ذلك لما توسم فيه من النبوغ الحارق التي كانت تبدو طلائعه في أعماله الشعرية الأولى التي كان اقبال يطلعه عليها ، ويستشيريه في مستواها . والمثل يقول « اذا طلع الهلال آمنا بالبدر » .

وقد أنهى اقبال دراسته في الكلية الاسكتلندية عام ١٨٩٥ وانتقل على أثرها الى لاهور عاصمة ولاية البنجاب ليلتحق بكلية الحكومة ، وقد حاز منها على درجتين علميتين . وقد كان استاذ هذه المرة المستشرق الكبير سيرتوماس آرنولد الأمر الذي رسّخ في ذهنه المادة العلمية بشكل فريد ، ووسّع آفاق تفكيره ، وأوقفه على قاعدة علمية صلبة لينطلق منها بخطى وثيقة الى العالم الرحيب ويحقق ما ادّخرته الطبيعة له من السمو الادبي والفكري .

وبعد تخرّجه من هذه الكلية أختير لتدريس مادة التاريخ والفلسفة في الكلية الشرقية بلاهور ثم نُصّب لتدريس الفلسفة واللغة الانجليزية بكلية الحكومة التي تخرج منها . ولكن طموح اقبال وتطلعه الى اثراء ثقافته واغناء معارفه ، ومضاعفة معلوماته ، وتوسيع آفاقه ، كان يطلب منه أن يواصل مسيرته الدراسية من شؤون الأدب والثقافة وما يستجد منها لذا فقد هجر الوظيفة وعزم على السفر الى أوروبا لاكمال دراسته وقد تم له ذلك في عام ١٩٠٥ .

ولم يَطلُبْ به الزمن الذي أمضاه في بلاد الغرب مُكَبِّبًا على الدراسة ليل نهار حيناً وعاقداً ندوات المناقشة الفكرية والأدبية مع مفكري الغرب حيناً آخر . كما كان زيادة على ذلك زائراً دائماً لمكتبات كمبردج-ولندن-وبريشن . أما حصيلته التي ظفر بها من هذه الرحلة فقد كانت غنية في ثمارها اذ نال خلالها شهادة الدكتوراه في الفلسفة من ميونخ حيث قد تَضَلَّع في العلوم الفلسفية تَضَلُّعاً جعله أن يكون في مقدمة المختصين بها في العالم آنذاك فقد أضاف الى سعة معرفته السابقة بها ما استطاع تحصيله من مطالعته العامة ومما درسه في جامعة كمبردج على البروفسور ماك تاكارز . وقد كان موضوع وعنوان الرسالة التي تقدم بها الى الجامعة في ميونخ ونال الدكتوراه عليها هو (تطور الميتافيزيقا في بلاد فارس) . كما حصل على درجة في القانون عام ١٩٠٨ وهو العام الذي عاد به الى وطنه . ولم يقتصر نشاط اقبال العلمي والثقافي في أوروبا على ذلك فقط بل كان أكثر اتساعاً حيث استطاع أن يجعل من نفسه داعية للثقافة الشرقية والفكر الاسلامي وتعاليمه بين الأوروبيين . وخلال اقامته في انكلترا قبل عرضاً من جامعة لندن لتعيينه أستاذاً للغة العربية فيها ولكنه لم يستطع مواصلة ذلك فاستقال منها بعد ستة أشهر .

ان سفرة اقبال برغم عمرها القصير الذي لم يتجاوز الثلاثة أعوام كانت غنية بنتائجها الفكرية اضافة الى مردوداتها العلمية فأعظم أثر جوهري فَمَّال تركته في نفسه هو اطلاعه على الحياة الغربية عن قرب واستجلاء معالمها ، والوقوف على محاسنها ومساوئها وعقد مقارنة أوضاع بلاده المتأخرة بأوضاعها المتقدمة المتحضرة وتعرُّفه على السبب الذي أوقف وطنه في موقعه المتأخر الفارق في ظلام الجهل والفقر والمرض الدامس ، ومعاهدته نفسه على بذل أقصى المساعي والجهود لمعالجة سوء أوضاعه الاقتصادية والصحية والاجتماعية،

وانقاذ تفكيره من الضلال الذي غمرته به الخرافات والاساطير والعقائد
الساخجة التي ما أنزل الله بها من سلطان • ان هذا الوعي الهائل الذي
غزا رأس اقبال وسيطر على روحه ونفسه وقلبه لم يولد فجأة في عالم اقبال
بل كانت له جذوره الممتدة في أعماقه • فلم يكن من البلادة والغفلة بحيث
تخفى عليه حالة مجتمعه وتخبّطه في متاهات التأخر وظلمات الآفات
الاجتماعية غير أن مقدار احساسه بها وتجنيده نفسه لمعالجتها لم يبلغ المستوى
الذي بلغه بعد سفره الى أوروبا حيث أن رؤيته الرقي الحضاري والثقافي
والاجتماعي بأعلى درجاته جسّد له المأساة التي تعيشها بلاده تجسيداّ كاد
أن يفقده رشده حتى بلغ به الأمر الى عقد عزمه على هجران كتابة الشعر
والانصراف كلياً الى محاربة الأوضاع السيئة واستبدالها بما يلائم الحياة
والعصر الذي تعيش فيه ولم يرجع عن عزمه على هجران الشعر والعودة
الى ميدانه الا بعد محاولات كثيرة معه قام بها أصدقاؤه ومحبوا الشعر وفي
مقدمتهم (سير توماس آرنولد) • ولو بقي اقبال على عزمه على ترك
الشعر لفقد الشعر بصورة عامة والشعر في الهند خاصة كنزاً شرعية
لا مثل لها أهداها اقبال للعالم بعد عودته الى رحاب الشعر • وقد رسم
حماس اقبال الملتهب للإصلاح الاجتماعي خطة حكيمة أخذ يسير على
ضوئها ويهتدي بهداها لتحقيق التغيير الاجتماعي والصعود بوطنه ومجتمعه
الى حيث ينتظره الطموح البشري المشروع لاسيما وأنه حائز على كل
شروط ومقومات التطور والتقدم بما يمتلكه من رصيد حضاري وفكري
وما تجود به أرضه له من ثروات وخيرات لها كل الامكانيات على تمهيد
طريق جميع أنواع التطور أمام مسيرته •

وهكذا بدأ اقبال مرحلة جديدة من الجهاد الواعي الموزون بخطف
البرق • وكان النضال الذي بدأ يخوضه منذ عودته وان كان حلقات

جديدة مكمّلة لحلقات نضاله السابق الا أنه في هذه المرة كان أكثر
نضوجاً وتفوقاً بدقته وتنظيمه وسعة آفاقه وحتمية نتائجه الايجابية .

ولم يقصر اقبال نضاله المذكور على جانب واحد من الجوانب المتعددة
التي يمتلكها في ميدان النشاط الانساني بل هب بها جميعا في آن واحد
وجندها في سبيل تحقيق طموحه الوطني والانساني فاستخدم الشعر والنثر
والفلسفة والنقد أدوات فعالة في خلق الثورة ضد المفاهيم العتيقة البالية
التي كانت العامل المهم في ما وصل اليه بلده من الانحدار في هاوية
التأخر ، وما بلقته أمتة الاسلامية من نكوص ، فشن حملة شعواء على
الاستعمار الغربي الغاشم الذي كان السبب المباشر في رزوخ الشرق بسلاسل
شقائه ، وسقوطه في هوة الجهل والفاقة والمرض ، والحرمان فقد كان ذلك
الأجنبي الغاصب ينهب خيراته ليصنع منها سعادته وتقدم بلاده وتسلقها سلاالم
الحضارة بخطى واسعة ، وبناء صروح المجد الكاذبة الشامخة على أنقاض
الهياكل البشرية المعذبة .

وقد كان الدين الاسلامي الحنيف ، ودستوره القرآن المجيد وتعاليم نبي
الكريم محمد (ص) المنبع السخي الذي كان يستلهمه اقبال في أصول فلسفته
الكونية مازجاً بها ما يتفق معها من المفاهيم الفكرية القديمة والحديثة
بعد اقتطاعها من أصولها وتشذيبها من زوائدها وقد استطاع بقدرة فائقة
أن يعقد قراناً بين الدين والفلسفة وأن يذيب أحدهما بالآخر في بوتقة
تفكيره الفلسفي والاجتماعي الذي ابتكره من تجاربه الحياتية والعلمية .
وبالرغم مما واجه عالمه الفلسفي الجديد من العقبات لم ينكص ، ولم يتزعزع
ايمانه بموقفه ولا ترحزح عن موضعه الذي عقد العزم على الثبات به الى
النهاية . وهكذا سار اقبال نحو أهدافه السامية ومن أجل تحقيقها بكل

بسالة وعزيمته واستطاع أن يقتطف من صنوده نتائج ايجابية رائعة على صعيد الواقع العملي . يقول الدكتور عبد الوهاب عزام في كتابه (محمد اقبال) ما نصه : (عاش (أي اقبال) في فترة تدهور من التاريخ الاسلامي نقيضاً لفترة ازدهاره وبنائه الامبراطورية فدفعه خزنه على ذلك الى الاهتمام بمستقبل مسلمي العالم ودعا الى انشاء الرابطة الاسلامية بين الشعوب الاسلامية وهو أول من نادى بتكوين دولة اسلامية في الهند وحقت بعد ذلك على يد جناح الذي عمل من أجلها مع حزب الرابطة عام ١٩٤٠ . وحاول اقبال تلقح الاسلام بما يلائمه من الأفكار الجديدة وما جادت به الحضارة الحديثة من أفكار علمية وفلسفية وقام بمهمة تجديد التفكير الديني في الاسلام لوضع حد لبسط نفوذ الثقافة الغربية بما عرضه عرضاً منطقياً يوضح روحه الحقيقية) .

ان المهمات الفكرية التي شغلت اقبال طوال حياته وعقدت بين أجزائه الارق موانيق لا يمكن نقضها تلخص في تجديد التفكير الديني في الاسلام من ناحية ، والقضاء على السلبات التي أذبلت الروح الوثابة لدى الانسان بما اهتدى اليه في بحثه المتواصل في عوالم الفلسفة من فكرتي « الذاتية » و « الانسان الكامل » .

فأما من ناحية فكرته في اعادة بناء الفكر الاسلامي فهي نابعة من تعلقه المتأهي بالدين الاسلامي ومحاولته الدائبة على استعادة مجده الذي شحب لون ضوء شمس بتأثير ابتعاده عن محتواه الاساسي الرفيع بسبب بعده الزمني عن عهد انبثاقه من جهة وتوالي الاحداث العكسية السيئة على مسيرته الطويلة من جهة أخرى مما أخفى كثيراً من جوانبه المشرقة وأدخل عليه أموراً ليست لها أية علاقة مما غيّر من معالمة السامية . ونظراً لان

اقبال كان مندفعاً بقوة لا تعرف الحدود في طريق هذا الدين العظيم فقد كان يتجاوب مع كل ما يجد له صلة قريبة أو بعيدة به ، ولان الصوفية طريقة دينية نبعت من الاسلام وتعمقت في تفسير اشاراته وتعاليمه ، وغالت في عناصر التوحيد مغالاة أخرجتها في بعض المواضع عن جوهره الحقيقي كافناء ذات الانسان في ذات الله فقد وقف منها اقبال موقفين •

في البداية اندفع اقبال في تيارها ووقع تحت طائل سلطانها بتأثير سحر عالمها الروحاني الذي يزيده جاذبية تعبيرها عن مفاهيمها وطقوسها وشعائرها بأجمل الأساليب الشعرية والنثرية وأدقها ، وأكثرها تأثيراً في النفس ولكنه ما لبث أن وقف منها موقفاً مضاداً ناعياً عليها سلب ارادة الانسان ، وتحبيب الخضوع له ، في حواسه وأحاسيسه مما يتساقى وروح الدين الاسلامي التي تدعو الانسان الى أن يكون عزيز النفس كريمها ، قوي الارادة منيعها ، لا يدعن لسطوة بشرية مهما دعا الامر الى ذلك ، ولا يخضع الا لخالقه • هذا هو السبب الاول الذي غيّر وجهة نظر اقبال بالصوفية ، وأما السبب الآخر فهو يتعلق بدعوة المتصوفة الى اذابة نفس الانسان وافنائها بالذات الالهية • ان معنى ما ذهب اليه أصحاب التصوف في هذا البند - سواء أرادوا او لم يريدوا ، بقصد أو بدون قصد - هو اذلال النفس واحتقارها والا لماذا يحاولون افناء شيء أراد الله سبحانه وتعالى أن يبقى على حاله كما خلقه ولو ان من رأي الخالق اذابة نفس الانسان وافناءها لكان هو أقدر على ذلك ، ولهذا نرى اقبال يسخر في كتابه الشعري (أسرار خودي) بأفلاطون وبحافظ الشيرازي الذي يعتبره المتصوفة أحد أئمتهم فهو يعتبرهم غنماً مما أثار عليه نائرة الصوفية واشعالهم حرباً عليه • وحول هذا المضمون الأخير ينقل لنا الدكتور عبد الوهاب عزام في كتابه محمد اقبال (ص ٦٦) ما كتبه مولانا أسلم جيرا

جبوري سنة ١٩١٩ : (مازال بعض الناس يعترضون على اقبال منذ نشر كتابه (أسرار خودي) أو (أسرار النفس) اذ جعل افلاطون اليوناني وحافظ الشيرازي في فصيلة الغنم •

وليس حافظ الشيرازي عندهم شاعراً فحسب بل هو ولي مقدس ولو لم يكتب اقبال ما كتب لكان خيراً له لأنه عرض نفسه لطنع الطاعنين ، ولأن المسألة الأصلية التي تتفع الأمة حجت في غبار هذا الجدل كما فعل بيرزاده مظفر أحمد اذ نظم « ازيخودي » ليردّ على اقبال ما قال عن افلاطون وحافظ وأغفل الموضوع الأصلي •

ان شدة حماس اقبال ضد دعوة المتصوفة في افناء النفس هو الذي جعله ينقم على افلاطون وحافظ وسواهما لأن وجهة النظر المذكورة تعني فيما تعنيه الفناء تاماً لأعظم ، ما يملكه الكائن الانساني في حياته المادية والروحية وهو النفس الانسانية تلك الجوهرة التي يؤكد الاسلام على احترامها احتراماً يليق بها ، ويدعو المسلمين الى تربيتها تربية تمكنها من أداء ما عليها من واجبات تجاه خالقها ، وتجاه الجنس البشري ، وتجاه العالم الذي وجدت فيه • (وان هدف الانسان الديني والاخلاقي) كما يقول عزام في كتابه محمد اقبال « ص ٥٩ » ملخصاً رأي اقبال في النفس) اثبات ذاته لا نفيها ، وعلى قدر تحقيق انفراده أو وحدته يقرب من هذا هو الهدف على قدر بعده من الخالق تنقص فرديته ، والانسان الكامل هو الأقرب الى الله فالانسان انما يقوم بذاتيته أي بما يبلغه من الكمال العقلي والخلقي وهو لا يستوفي حظه من هذا الكمال الا اذا عرف نفسه حق المعرفة وأخذها بالتسمية والتقوية ، ووثق بها ، وتعشّق الشرف والمعالي ، وخلق لنفسه المثل الجليلة والمقاصد النبيلة لا يبلغ مقصداً الا ابتغى بعده مقصداً

أرقى ولا يحقق مطلباً الا تطلّع الى مطلب غير أسمي ، ويقول أيضاً في
الصفحة نفسها (الانسان خليفة الله في أرضه فعليه أن يتخلق بخلقه ،
وعلى قدر ذلك يقترب من الله) •

من هذا نفهم أن الذات الانسانية تشكّل المحور الرئيس الذي يدور
حوله تفكير اقبال وأهم الأشياء التي تركت في نفسه أثراً عميقاً وجملته
يؤمن بذاته ايماناً مطلقاً لا حدود له هو أنه رأى جميع الموجودات الكونية
من كائنات حيّة وغير حيّة تعيش فرديّةها بصورة نهائية فلا يندمج
بعضها ببعض على الرغم من نسبة التفرّد التي يعيشها كل منها ومن هنا
نشأت لديه الذاتية أو الفردية بشكل حركة تعيشها جميع الأحياء التي
تنظم في مدار الحياة الصاعدة حتى تبلغ الانسان وعندما تتحول الى الشخصية
وتحققها فبإمكان الذات الطامحة بتحقيقتها أن تقهر الواقع المحيط بها والبعـد
من ناحية ، والزمن من ناحية أخرى وذلك للاقتراب من الذات الكبرى أي
ذات الحقيقة الكلية وهي ذات الله بصفاته الحسنى ، وعند بلوغها هذا المستوى
من التحقق والاقتراب تتحول الى درجة بالغة السمو هي درجة الانسان
الكامل •

أما الطريق الذي يسلكه اقبال في مجال تفكيره المذكور - كما يتضح
لنا من كتاباته وقصائده - فهو ذو ثلاثة اتجاهات مستندة الى ايمان قوي
بتطور الانسان ، وهذه الاتجاهات الثلاثة هي الحصول على الحرية
الشخصية وبلوغ الخلود الشخصي ، وتحقيق الانسان الكامل ، ولما كانت
الذات الانسانية لا تتمكن من انجاز التطور الا بالاتصال بالذوات الانسانية
الأخرى لا بالعزلة عنها فقد رسم اقبال لها منهجاً يحدد لها الضرورات التي
يؤكد ويلجّ على توفرها في المجتمع ليحقق التطور لهذه الذات •

ان اقبال في دعوته لفلسفة الذات يصدر عن مفهوم انساني رفيع فهو يريد من الانسان أن يقضي على ضعفه الذي يتباه بالايمان العميق بنفسه الذي يقوده بالضرورة الى تحقيق فرديته اذ ان بتحققها يمتلك قوة يستطيع بواسطتها أن يخضع كل القوى التي تقف بوجهه وتحول دون مطامحه السامية كما أنه ينظر الى المجتمع الذي يحقق كل فرد فيه ذاته فيبدو مجتمعاً بالفاً درجة عالية من الكمال حيث انه يتكون في هذه الحالة من أفراد بلغ كل منهم درجة الانسان الكامل فاذا استطاع أبناء الامة الاسلامية بلوغ تلك الدرجة استطاعت أمتهم أن تذلل جميع الصعاب والعقبات وتجتازها الى ذروة التطور والمجد .. ان اقبال حين يدعو الانسان الى تحقيق ذاتيته فانه يستلهم في ذلك جوهر الاسلام العميق حيث يقود الانسان الى التمثيل بخالقه الفرد الذي لولا تفرّد ذاته الكبرى لما استطاع أن يخلق هذا الكون العظيم ، فاذا نجح الانسان بالتمثل بخالقه وسمى شيئاً الى تحقيق فرديته وعاد ظافراً بما سمي اليه استطاع أن يكون انساناً خالقاً واذا تحقق له ذلك نال درجة الانسان الكامل ، واذا نال درجة الانسان الكامل أصبح نائب الله في الأرض . ان الانسان حين يبلغ هذه المرتبة يكون قد رفض التقليد ، وآمن بالتجديد الذي هو طبع الحياة الملازم لها ومما ورد بهذا الشأن في كتاب (اقبال الفيلسوف والمصلح «ص ٨٤») ما نصه (ولقد وصف اقبال التقليدية في قصائده المبكرة على أنها قتل للنفوس وقد عاد الى هذا الموضوع مراراً وتكراراً في أيامه الأخيرة . ومما يقول بصدد ذلك في نص ص ١٥٥ .

الى أي مدى سوف تبقى تتضرع مثل موسى على جبل سيناء ؟
فأجلب بسرعة نيران سيناء من تراكب الحاص . وثمة مقطوعة من أربعة أبيات في (بياض مشرق) (رسالة الشرق) نص ص ١٥٥ يقول فيها :

لو كنت عليمًا بقيمته ووقته فاخلق محيطاً من نداك • يا قلبي كم من الزمن سوف تبقى تتسوّّل الضوء من القمر فلتضيء ليلاك بأنفاسك أنت •

وقد كتب أقبال قصيدتين طويلتين باللغة الفارسية في موضوع النفس طبعهما في كتابين مستقلين الأولى (أسرار خودي ورموز بيخودي) أي (أسرار النفس وغوامض حب النفس) وقد نشر الأولى عام ١٩١٥ ، والثانية عام ١٩١٨ • ويشرح أقبال في الأولى مضمون فلسفته التي استطاع أن يتوصل إليها والتي تكوّن النفس مرتكزها الرئيس ومنطلقها الأساس بينما يدعو في الثانية الى اصلاح الفرد واعادة جميع المسلمين الى الشريعة الاسلامية الحقّة • ويحدثنا لوس ليكود مايز في كتابه مقدمة الى فكر اقبال ص ٤٢ عن بعض مقاطعها فيقول : (وفي أسرار الخودي « سيمفونية النجوم » يصف الشاعر النجوم كمغامرة تهيم بالمغامرات وتعشقها عشقاً لا حدود له ولهذا فهي في بحث دائم عن عوالم جديدة :

الانسان ، على العكس - غير واع بمصيره العظيم ، منهمك في مشاغله اليومية •

نظامنا هو حياتنا •

مسيرتنا الثابتة هي قاموسنا •

تكمّن الحياة الازلية في تجوالنا اللانهائي •

السموات تتطور حسب رغبتنا •

نحن نراقب ونتحرك •

كثيرك نعتبره قليلاً •

ستتّك لحظة بالنسبة لنا •

يا من تحمل محيطاً في صدرك •

- مع أنك مخلوق من قطرة الندى
- نحن نتحرك بحسباً عن عوالم أخرى
- نحن نراقب ونتحرك

وقد جرى أقبال في كتابته لهذه القصيدة مجرى جلال الدين الرومي الشاعر الصوفي في كتابه الفريد المشوي العظيم وذلك في أسلوبها الشعري كما أنه استلهم كثيراً من أفكاره في الذات الانسانية منه ، وبالرغم من موقف اقبال المضاد للصوفية فهو يستشي منهم جلال الدين الرومي الذي كان يعتبر نفسه تلميذاً له . كما كان متخذاً منه له قدوة يقتدى بها في شعره وفكره الاسلامي ، والحق أنه أفاد منه كثيراً وكان له نعم الاستاذ .

ان هذا الذي ذكرناه عن فلسفة اقبال ما هو الا اشارة بسيطة الى عالم واسع زاخر بالأفكار العميقة اذ لا يمكننا أن نتحدث عنها أكثر مما تحدثنا في مثل هذا المجال الضيق .

أما شاعريته فهي أشهر من أن تعرف وأعظم من ان (تقوّم) فهو شاعر بالفطرة والتجربة والمعرفة والثقافة له ملكة ندر وجود مثلها على مدى العصور التي مرت بالبشرية .

لقد حفظ اقبال القرآن الكريم وفهمه فهماً دقيقاً وغاص الى أغواره فوقف على أسرارهِ ومعانيهِ العظيمة ثم قرأ الشعر الفارسي والهندي والعربي وهضمها هضمًا جيداً وأتبعها بقراءته للشعر الاوربي ولكن بعد ان امتد عمره في الزمن . وعلى أية حال فإن الثقافة الشعرية التي استطاع توفيرها لنفسه مكنته من أن يمتلك ناصية البيان ويطوع جموع المعاني وأن ينطلق في عالم الشعر انطلاقاً لا مثيل له لا في الهند فحسب بل في الشرق والامة

الاسلامية جمعاء في أواخر القرن الماضي وأوائل القرن الحالي •

وقد بوّأته قراءاته الكثيرة في كتب الادب المختلفة مكانة من اللغة لا يرقى اليها الصقر ، ومنحته من الأساليب ما تعجز عنه البلاغة نفسها وألهمته من الأخيلة والصور الشعرية ما تحسده عليه الطبيعة وجمالها الأخاذ •

والشيء الأكثر ادهاشاً أن أقبال استطاع أن يمزج الشعر بالفلسفة دون أن يُخلَّ بمفهوم الشعر وقوانينه بل زاده جمالاً على جمال كما هيئاً الفرصة للفلسفة أن تظهر للناس بحلّة خلافة من نسيج فريد جعلت العقول تلهّف الى استيحائها ، والنفوس تمنعش الى تشربها ، والقلوب تخفق الى التمتع بجلالها وعمقها •

لقد بدأ أقبال بكتابة الشعر وهو في مراحل دراسته الأولى وقد شجّعهُ أستاذه (مير حسن) الرجل الضليع في الآداب الفارسية والهندية والعربية على مواصلة الكتابة الشعرية كما شجعه الشاعر الهندي الكبير (داغ) تشجيعاً كان له أثره على تطوُّره الشعري وذلك حينما أرسل اليه بعض قصائده يستشيرهُ في صلاحها أو عدمه ويطلب منه تصحيحها اذا تطلَّب ذلك ولكن داغ لم يصحح له الا أشياء بسيطة وأرسل اليه قصائده مرفقة برسالة يقول له فيها (كما يذكر السيد عبد الواحد - في كتابه فن وفكر أقبال) انه ليس بحاجة الى أن يصحح له أحد قصائده اذ قد بلغت قدراً كبيراً من النجاح وسلامة النظم •

اننا لو حاولنا أن نستشهد لأقبال بأمثلة شعرية لاحتجنا الى مجلد ضخّم يتألف من مئات الصفحات ولذلك فنحن لا نستطيع أن نذكر له الا بعض المقاطع منها ما يذكره لنا لوس لكوس مايز في كتابه (المدخل الى فكر أقبال ص ٤٦ :

ان أشعة شمس الدنيا المضيئة هي شرارة من نيرانك المتأججة فني
سلطانك الخلاق تخفي مكونات عالم آخر •

وأنت لا تقصوم النعم الذي أعطي لك •
ان سماءك لا تكمن في أي مكان آخر الا عن نفسك أنت •
وفي الهبة الثمينة لدمك وحياتك •
أيها الجسد الترابي أنظر المكافأة التي لا توصف
التي تتوج جهودك اللامضية .. كافح • وانظر •

ويقول في القصيدة نفسها :

الزهرة الصغيرة تنام نوماً عميقاً
انهض يا نرجس واختلس النظر
واأسفاه ! الزهرة تسقط وتسوت
ذبلت بفعل أحزان البرد ..

انهض

فان أغنية الطائر تملأ الأسماع الآن
والمؤذنون ينادون الى الصلاة
استمع للتهنيدات اللاهبة
اخرجوا من نعاسكم العميق
انهضوا من نومكم العميق ...

انهضوا

الشمس تزين بأشعتها الآن حواجب الصباح
وتفتر وجناه بخجل الحب القرمزي

فوق الجبال .. عبر السهول
تتخذ القوافل مسيرتها ثانية
والعيون البراقة للعالم تحقق بالعالم
وتنهض من نومها العميق
من مباتها العميق
انهضوا .. الشرق بكامله ملقى
كثبار ينتشر على طول الطريق ..

مرحى .. مرحى يا اقبال .. أي ساحر كمن تحت لسانك فجعلك
تطلق هذه الأغاني التي ترقص الحجر .. ان الدواوين التسعة التي
أهداها اقبال للبشرية سوف تبقى غداها الروحي الأبدى .. وأروع
ما كتب اقبال من شعر هو في كتاب (الجافيدناما) يقول لوس لكود في
المصدر نفسه الذي ذكرناه « ص ٣٨ » متحدثاً عنها « ان أجمل قطعة لأقبال
هي الجافيدناما (كتاب الأزلية) وقد أصبحت هذه القصيدة كلاسيكية
وفيما يلي تحليل مختصر لها :

يزور اقبال مصطحباً رومي الذي هو بالنسبة له كمثل فيرجيل لذاتي
كواكب مختلفة حيث يقابل شخصيات بارزة من شخصيات التاريخ والذين
من خلال حوارهم ، ألقوا أضواء على الحقائق الأزلية ولقد قيل بحق عن
هذه القصيدة بأنها « كوميديا الشرق المقدسة » :

كيف المثول بين يدي الله ؟ • كيف تحطم جبال الحياة واليابسة ؟
فالذي يأمرها فيما وراء الخلق ونحن مقيدون تقريباً بيد المصير الجديدة .
السؤال عن الانسان واعياً ومدركاً لحدوده أمام اللامحدود تبدأ القصيدة :

كيف نستطيع التغلب على كثافة المادة ونسمو بحالتنا الانسانية ،
ونجتاز بوابة المملكة السماوية ؟

هذا القلق الذي يساوره منذ بدأ الرحلة ، حجاب من الحزن يذكرنا
بدائتي الذي ضل طريقه في غابته المظلمة ..) .

ويطول بنا الأمر لو حاولنا الاستمرار .. فعالم اقبال ساحر ينسي
الانسان نفسه ونخشى الا نستفيق وقد أتينا على القصيدة بتمامها ...

ولكننا نعد بأن يقرأ المستمعون بعد وقت ليس طويلا الكتاب الذي قمنا
بتأليفه عن اقبال .

لقد طبّقت شهرة اقبال آفاق القرن العشرين ، واستأثرت باعجاب
أعظم العقول ، ونالت آيات الحمد والثناء منها على جميع المضامير التي
طرقتها في مجالات النشاط البشري . ومما قاله بعض أولئك المفكرين قول
مولانا أسلم الجراجيوري في احتفال باقبال أقيم في الجامعة الاسلامية
ما نصّه :

« قرأت الشعر بالعربية والفارسية والأوردية ، ولا حرج عليّ أن
أقول أن اقبالا أعظم شعراء المسلمين وان كلامه ليفيض بالحقائق الاسلامية
ولقد هدى ناشئنا سواء السبيل وان اقبالا حذق علوم العرب ثم أبلغ المسلمين
الرسالة التي بصّرتهم بحقيقة الاسلام وعظمتها ، وملأت قلوب الشباب
الغافل النائم بحب الرسول والقرآن ؟ وأما عميد الأدب العربي وفقيهه
الدكتور طه حسين فيقارنه بأبي العلاء المعري ويطري خصائصه الشعرية
والفكرية بما تمليه عليه عظمتها وذلك في محاضرة له منشورة في كتاب
« اقبال » لصفوة من كبار الكتاب » يقول فيها :

• شاعران اسلاميان رفعا مجد الآداب الاسلامية الى الذروة أحدهما شاعر الهند والباكستان اقبال وثانيهما أبو العلاء المعري شاعر العرب •

شاعران يتقاربان كأشد ما يكون التقارب ويتباعدان كأعظم ما يكون التباعد كلاهما شاعران وكلاهما فيلسوف ، وكلاهما أخضع الفلسفة للشعر وكلاهما بعد ذلك خرج على التصوف التقليدي واتخذ لنفسه سبيلاً خاصاً في التصوف لا يشاركه فيه أحد غيره وكلاهما أثبت شخصيته وكأقوى ما يكون عليه اثبات الشخصية ، ودعا الانسان الى أن يعرف ذاته حق معرفتها والى أن يفرض نفسه على الدنيا ويفرضها على الزمان ولا يقينها في أحد غيره مهما يكن •• الخ ، كما قال ابهار خراساني الملقب بملك الشعر : سلّمت هذه البلاد مقاليدها الى اقبال بكل رحابة صدر وأعلنت نفسها أمام العالم كله مملكة خاصة له وحده وليس ذلك عليه بالكثير وهو الذي استطاع أن يحرز قصب السبق على مائة الف من نوابغ جيله ، ان جيشاً من الشعراء الفحول أعلن هزيمته أمام انتصاره •• مترجمه من كتاب فكر وفن اقبال (السيد عبدالواحد) قبل المقدمة عن الانكليزية •

لقد عاش محمد اقبال حياة مليئة لا تكاد تعثر فيها على فراغ منذ مولده حتى مفادته هذا العالم •• وهو زيادة على ما قدم في مجال الشعر والفلسفة والأدب والنقد عمل بالسياسة فرأس جمعية حماية الاسلام وهو مازال يافعاً وانتخب عضواً في الجمعية التشريعية في البنجاب عام ١٩٢٦ • وكان عماداً قوياً من أعمدة حزب الرابطة الاسلامية حيث رأس اجتماعاته التي انعقد الاول منها عام ١٩٣٠ والثاني ١٩٣١ والثالث ١٩٣٣ والقي فيها الخطب الرائعة وقد دعا في الخطبة الأولى التي ألقاها في المؤتمر الأول عام ١٩٣٠ الى تكوين دولة تضم المسلمين الهنود كما حضر ثلاثة مؤتمرات

للطاولة المستديرة في ١٩٣١ - ١٩٣٢ - ١٩٣٣ على التوالي وأسهم بتعديل الدستور الهندي الذي تم في اجتماعات تلك المؤتمرات ..

ان هذه الحياة المرهقة المليئة بالخلق والابداع والعمل المتواصل ذهبت بجديته ونشاطه فوافته المنية يوم الحادي والعشرين من أبريل عام ١٩٣٨ فكان ذلك اليوم يوماً ليس أشد منه حزناً على شعبه الذي أفنى نفسه في سبيله وذاق كل مرارة ليقدم له العسل .

وقد كتب محمد علي جناح الى ابنه بخصوص اقبال يقول « كان لي صديقاً ومرشداً وفيلسوفاً وكان في أحلك الساعات التي مرت بالرابطة الاسلامية راسخاً كالصخرة لم يزلزل لحظة واحدة قط ، »

كما قال عنه بعد نشره أسرار الحودي ورموز البيخودي « ان شعر اقبال يحدو المسلمين في هذا العصر الى النشأة الثانية ، »

وقد كان نبأ وفاة اقبال صاعقة وقعت على رأس الشاعر الهندي العظيم « طاغور » فما كان منه الا أن يعبر عن ألمه الشديد للعالم بقوله « تركت وفاة اقبال في أدبنا خلا يشبه جرحاً مهلكاً ولن يشفى هذا الجرح الا بعد زمن طويل غير محدد .. ان مكانة الهند في العالم غير مكنية ، فموت شاعر عالمي كاقبال مصيبة لا تحتملها البلاد .

ومما قال طاغور : لا ريب عندي أن ما ناله شعر اقبال من قبول وصيت يرجع الى ما فيه من نور الأدب الخالد وعظمته ويؤسفني أن بعض النقاد وضع أدبي وأدب اقبال في ميزان المنافسة وجهدوا أن يشيعوا أغلاطهم في هذا الشأن ، وهذا عمل لا يليق بالأدب الفسيح الذي يخاطب النوع الانساني كله لأن في ساحة الأدب العالمي يقوم الشعراء وأولوا الفن في صف من الأخوة الانسانية .

ويقيني أنني ومحمد إقبال عاملان للصدق والجمال والأدب ونحن نلتقي
حيث يقدم القلب الانساني والعقل الى عالم الانسانية أجمل هداياها
وأروعها ، •

وهذا القول من شاعر عظيم كطاغور يعتبر شهادة تفوق كل شهادة
تعلن فيها عظمة إقبال الفريدة بأفصح ما يمكن من أسلوب وأصدق قول •

وقد احتفل بتشيع الشاعر والفيلسوف العظيم الى مثواه الأخير
حيث أغلقت المدينة دواوينها ومتاجرها •• وكان مما قاله في هذه المناسبة
محمد علي جناح • « كان شاعراً منقطع النظر طبق صيته الآفاق ،
وستبقى كلماته حية أبداً وأن مساعيه لامته وبلده لتضمه في صف أكبر
كبراء الهند وإن وفاته لخسارة كبيرة للهند عامة وللمسلمين خاصة » •

وقال أيضاً في خطاب القاء في الاحتفال بذكرى إقبال في جامعة
البنجاب عام ١٩٤٠ : « ان خييت حتى رأيت للمسلمين دولة قائمة في الهند
فخبرت بين الرياسة العليا في هذه الدولة المسلمة وبين كتب إقبال
لم أتردد في اختيار الثانية » •

انه لمنتهى التقدير والاحلال من قائد شعب وزعيم بلاد لشاعر وطنه •
وان على إقبال العظيم ان يغتبط وهو في خلد بهذا القول المقوم عظمتة أصدق
تقويم وأجله •• انه ليستحق هذا التقدير وأكثر منه فلا يمكن معادلة
ما قدمه إقبال من كنوز ثمينة أدبية وشعرية وفلسفية بجميع اقوال الحمد
والمديح مهما بلغت من درجات السمو ••

ان المرء الذي يعيش عالم إقبال الشعري والفلسفي لا يصدق أن قلباً
مثل قلبه يسكت عن الخفقان الى الابد ويفارقه النبض الى غير عودة ••

كلا ان قلب اقبال لم يسكت عن الحُفَقان فهو مازال ينبض وينبض ملايين
المرات أكثر من السابق .. انه ينبض اليوم بملايين القلوب .. قلوب
شعبه .. قلوب أمته .. قلوب العالم النليل الذي يفهم معنى الفكر ..
ويكرم الشعر ، ويمجد التضحية ..

أحييك يا اقبال في ذكرى ميلادك المئوية .. واحيي بك شعبك وأمتك
وعالمك وأزف لها آيات التهئة والغبطة على أنها استطاعت ان تنجب عبقرياً
عظيماً مثلك خلق مجدداً فكرياً وشعرياً هما في عالم الروح كالشمس والقمر
للوجود •

الحياة عند اقبال الفيلسوف في تحصين الشخصية

المحاضرة التي اعدّها مهدي حمود الفلوجي

للالقاء في ١٧/١١/١٩٧٧ في جامعة كراچي

كلية الآداب - قسم اللغة العربية

حضرات الأساتذة .. اخواني وأخواتي :

ان من دواعي غبطتي وسروري ان أقف هذا الموقف المشرف لالقي كلمة وجيزة عن الحياة عند اقبال الفيلسوف في تحصين الشخصية .

آمل ان تقع في نفوسكم موقع القبول وهي تخرج من حنجرة عربي عراقي من أرض ثورة السابع عشر من تموز ، عراق الثورة وعراق الأمل والوفاء والنضال من أجل المستقبل الأفضل ، بلاد الرافدين ، بلاد الحضارات القديمة مهبط العلم ومهبط الفن والتاريخ ، بلاد الوحدة والحرية والاشتراكية ، بلاد البناء والتشييد ، بلاد الشموخ بالرفعة الأبدية ولي كل الفخر والاعتزاز بهذا الموقف وأنا واحد من أبناء هذه الأرض وهاكم ما أراه اقبال في الحياة في تحصين الشخصية .

ان الحياة استناداً الى فكر اقبال هي عملية تمهيدية تمثيلية ، وجوهرها هو الخلق المستمر للرغبات والمثل العليا ، ان خلق رغبات جديدة ومثل عليا يجعلها تسعى الى خلق حالة من التوتر الدائم (عزيمية مثابرة) . الشخصية عند هذا المفهوم هي حالة توتر ويمكنها أن تستمر فقط ، ان الاحتفاظ بهذه الحالة . وعدم الاحتفاظ بحالة التوتر تنشأ عنها حالة من الاسترخاء (تثبيط العزيمة) . وحيث أن الشخصية او حالة التوتر هي أعظم منجزات الانسان ، فانه يجب أن يتأكد من أنه لن يلجأ الى حالة الاسترخاء بأي حال من الأحوال ، بل علينا أن نعمل للاحتفاظ بحالة التوتر لتجعلنا خالدين (١)

I - Introduction to the secrets of the self PP. XVI .

وبذلك فإن (الذات) البشرية لها مهمة محدودة على الأرض في اتجاهين رئيسيين •

أولاً : عليها أن تناضل بيشتها وتتنصر عليها ، ونتيجة هذا الانتصار تحصل على الحرية وتقرب من الله الذي هو أعظم فرد حر •

ثانياً : على الذات ان تحتفظ بحالة دائمة من التوتر وبذلك تحرز الخلود . بالحصول على الحرية والخلود ، تغزو الذات الفضاء من جهة والزمن من جهة أخرى •

ولكن زيادة على احراز الحرية والخلود فإن على الذات أن تساعد على مسيرة الانسان العلوية بالاتجاه الى مولد نموذج أعلى من الانسان - الانسان للفائق أو الانسان الكامل الذي هو المثال الذي تطمح اليه جميع الحياة •

هذا هو الاساس الذي تقوم عليه فلسفة اقبال عن (الذات) ومن الواضح أن هذه الأسس لهذه الفلسفة هي ايمان قوي في منح قيمة حقيقية للانسان في ثلاثة اتجاهات ، الحرية الشخصية ، الخلود الشخصي ، انتاج بني الانسان الفائقين •

ولكن كيف يمكن الاحتفاظ بهذا التقويم على ثلاثة حدود ؟

ولدى رغبة الانسان بتحسين شخصيته عليه أن يشبع جميع ما يميل الى تحسين الشخصية ويجب أن يتجنب جميع ما هو من المحتمل أن يضعفها،

وكما يقول أقبال « ان فكرة الشخصية تعطينا مقياساً ذا قيمة ، فهي تسوي مشكلة الخير والشر .

ان الخير هو الذي سيحتصن الشخصية ، الفن والدين ، أما العوامل التي تضعفها فتتجسد في الشر ، كما أن الواجب يقتضي الحكم على الاخلاق من وجهة نظر الشخصية .

وهكذا فانه سرى انه من الاهمية العظمى في تقويم الانسان هي دراسة عوامل وقوى تحقق ذات الانسان أو شخصيته . واستاداً الى اقبال فهي كما يأتي : -

(١) الحب .

(٢) الفقر - الذي يمكن وصفه بطريقة أفضل بالتعبير : هو ازدياد أعلى المكافآت التي يقدمها العالم أو العمل الذي لا ينظر الى مكافأة . هدفه البناء والتجديد والمساواة بلا جشع ولا طمع وغايته الحياة الحرة الكريمة والمجتمع السعيد .

(٣) الشجاعة .

(٤) قوة الاحتمال (الصبر) .

(٥) كسب الحلال ، والذي يمكن ترجمته بطريقة أفضل :

« الكسب بطرق قانونية » وشرعية خالية من الغش والرياء .

(٦) المشاركة في النشاطات الخلاقية والأصيلة .

ولزيادة الفائدة وتعميمها في توضيح طبيعة هذه العوامل نذكر

الملاحظات التالية : -

(١) الحب : - ان الحب من مفاهيم أقبال ذو مضمون واسع يتجاوز حدود

جلب السرور الفردي النقي عليه وانه الروح المتولد عنها الكون ثانية ،

الروح التي يجب أن تحرر العقيدة الفردية لجميع متاعب الانسان وتقدم العلاج لجميع رذائل الانسان كما يجلب أشياء جميلة وأفكار الى هذا العالم والتمثيل وامتصاص صفات بارزة وزيادة على ذلك يعني الحب لديه بالنسبة للفرد في المحبوب لا تستطيع أية كلمات ان تنقل صورة كاملة عن الحب كما فهمه ، مع أنه هو نفسه وصفه مرة تلو الأخرى شعراً وثنياً .

وجميع تلك الاوصاف الموضوعية في بعضها الى جانب بعض توضح فكرة معينة عن هذه القوى العظيمة التي تفعل فعلها في شوق بني الانسان ولكن الاعتبار ضيقة المساحة الذي تتبع محاولاتها في الفوص الى أعماق ذلك نكتفي بالإشارة اليه استناداً الى ما يقول في رسالة الى البروفسور نيكلسون. هذه الكلمية مستعملة بمعنى واسع وتعني الرغبة للتمثيل والامتصاص أن شكلها الأعلى هو خلقها للقيم والمثل العليا والسعي لتحقيقها الحب الذي يجعل الساعي منفرداً ويتضمن فردية الذي يسعى اليه ، وليس ثمة شيء آخر سيرضي طبيعة الساعي(١) . وقد وصف اقبال الرابطة التي بين الحب و (الذات) في هذه السطور :

النقطة المضئنة التي تسمى بالنفس
هي شرارة الحياة الكامنة أسفل ترابنا
وبقوة الحب تصبح أطول بقاءً
أطول عمراً ، أكثر اشتعالاً ، أكثر توهجاً
يحول جفنة بيدك من التراب الى ذهب
قبل بدء الانسان الكامل
ومن خير الحب تنبع عدة صفات روحانية

ومن بين صفات الحب المميزة هو التكريس الأعمى

كن محباً ثابتاً في حبك للمحب

الذي قد يتحرر من شباك حبك ويلجأ الى حب الله •

والشعراء في جميع اللغات والصوفيين في جميع الاقطار ، والميتافيزيقيون في جميع الاديان كلهم أكدوا أهمية الحب في تطور الخلق الانساني ، وقد وصفوا ما فهموه من الحب بلغة جميلة ، ولكن لم يؤكد أحد على ذلك مثل هذا التأكيد على الحب بصفته عاملاً في تطور الشخصية الانسانية أو استعمال مصطلح الحب بمثل هذا المعنى الواسع كما فعل اقبال • أما في الآداب الشرقية فإن أقرب الشعر اليه والصق بنفسه هو شعر الشاعر الصوفي العظيم مولانا (جلال الدين الرومي) •

ان القطعة الجميلة التالية من (توماس كيسي) بالرغم من جمالها لا تكفي لما ذهب اليه اقبال من معنى الحب - حيث ان مفهوم الحب عند اقبال هو أعلى وأعظم وأكبر واحلى واسمى مدلول في الحياة لا يصلح البشرية الى شاطئ السعادة والاخلاص والتفاني والتضحية وبذ الأنانية والمستحيل •

لا يشعر الحب بأي عبء ، لا يفكر بأي متاعب •

يحاول ما هو فن بكل قواه أن لا يبدي أي عذر للمستحيل ، لأنه يعتقد بأن كل الاشياء مشروعة لذاته وكل الاشياء ممكنة فهو لذلك قادر على أن يتحمل كل الاشياء فهو يتمم أشياء كثيرة ، ويصل بها الى النهاية ، حيث الذي لا يحب يفهم عليه فيسقط أرضاً •

(٢) الفقر : - من المستحيل العثور على كلمة في اللغات الأجنبية تعبر تعبيراً تاماً عن الفقر ، ولذا فقد انعكس ذلك المستحيل على القراء الشرقيين لاقبال بالنسبة لفهمهم ما يعنيه اقبال بمصطلح الفقر • أما القراء الغربيون فإن ادراكهم لمعناه الصحيح قاصراً أيضاً لكون الشعر لم يكتب وفق

الأسلوب الشرقي في التعبير عن الأفكار • أما المعنى الحقيقي المقصود الذي يريد إقبال من كلمة (الفقر) فهي ازدراء المكافآت التي يجب أن يعرضها هذا العالم أو العالم الآخر على بني الإنسان والتي يدوبون اشتياقاً إلى نيلها ، ويشتبهونها بكل ما في كلمة الاشتهااء من معنى • إن الفقر لدى إقبال كما قلنا هو مصطلح يدل على المعنى الذي ذكرناه زيادة على دلالة على مواصلة النضال ، ورفض وازدراء جميع المباح ، وجميع المكاسب والمكافآت ويوجب على الإنسان أن يقتصر في مطامحه على الغايات النبيلة • إن المعنى القاموسي والمعروف بين الناس للفقر هو العوز أو الاحتياج المادي الذي يقف دون الإنسان وتحقيق رفاهه المعاشي ، وعلى ذلك فمعنى كلمة الفقير يدل على الشخص المحتاج الذي لا يستطيع أن يظفر بقوته اليومي إلا بعد بذل مشقة قاسية ، بل ربما امتنع عليه الحصول على ذلك فالجأ إلى طلب صدقات الآخرين وإحسانهم ولذا فقد اكتسب هذا اللفظ الذي اصطلح عليه معبراً عن المعاني التي ذكرناها سمة حقيقية ، ولكن ربط أهمية ذلك بتطور شخصية الإنسان لا يمكنه الإقرار بمحتوى اللفظ المذكور لما ينشأ عنها من تحطيم للنفس ، ومن هنا يمكننا فهم القصد الذي يعينه إقبال بـ (الفقر) ولهذا الاعتبار فقد اتخذ هذا اللفظ جديراً لدى إقبال ، إذ أصبح دالاً على الموقف المنفصل انفصالاً تاماً عن جميع الممتلكات المادية للإنسان ، وبذلك يصنع إقبال درعاً واقياً من الاغراءات المحدقة بالإنسان في هذا العالم واستناداً إلى ذلك فالفقير هو الذي يعمل من أجل قضية نبيلة لا تحرك البذل مساعيه من أجلها أية دوافع باستثناء حصاد المتعة التي يمنحها له الفضل من أجل قضية نبيلة • وقد ضمن إقبال التعريف الذي توصل إليه للفقير في السطور التالية : -

فقر واحد يعلم الصياد فن الصيد

فقر واحد يعلم أسرار غزو العالم
فقر واحد يجلب الأمة الفقر والهم
فقر واحد ينقل للطين صفات الأكسيد

ويعود ثانية ليشير الى المؤثرات الخائفة التي تنتج عن الثروات
والممتلكات المادية ، وتنشر دخانها في الافاق ، فيقول : -
أيها الفقر المحترم نفسه ،
لقد حان موعد سفرك فحث خطاك بسرعة
ان الجشع الفظيع الى امتلاك أكبر كمية من
الذهب والفضة ، وجبها قد استنزفا
روح الأمم الغريبة •

وقد وصف تشرشل في مسودته تي.آي. لورنس الفقر وصفاً يفسر لنا
ما ذهب اليه اقبال في تعريف الفقر ، ولأجل توضيح الاصطلاح اقبال
نذكر قول تشرشل الآتي :

أن أحد أجزاء الشر المخفف لهذا السحر يكمن بصورة طبيعية في ازدياد
معظم الجوائز ، ومتع ومباهج الحياة •

ينظر العالم بشكل طبيعي ولكن بشعور مشوب ببعض الدهول الى الانسان
الاعتيادي الذي يشترك مع الجميع في مفاهيمه عن الوطن والمال ، الراحة ،
المرتبة وحتى السلطة والشهرة غير أن هذا العالم نفسه لا ينظر تلك
النظرة نفسها ودون ادراك معين الى الانسان الذي يرفض العيش داخل
سلطانه القضائي ، الانسان الذي تمتد أمامه المغريات وتراوده ولكن بدون
جدوى (١) •

ليس من اليسير تزين هذا الوصف المراد به الفقر أو تحسينه ، فالفكرة الأساسية بطبيعة الفقر هي خلوه من الفائدة المطلقة بالرغم من بذله الجهود من أجل مصلحة العالم دون انتظار مكافأة شخصية في العالم المائل أو الآخر المجهول ، وقد أورد برناردشو رأيه بكلمات وضعها على لسان برابارا (لقد تخلصت من رشوة السماء) (١) •

دع مشيئة الله تأخذ مجراها الذي قدره لها ، ان العمل هو الذي خلقنا من أجل أن نقوم به لانجازه لا يمكن أن يتم او ينجز دون قوى الرجال والنساء الأحياء • ومن البديهي أن أولئك الموهوبين بامتلاك الرؤيا الفائقة هم وحدهم القادرون على رفض هذه المكافآت بشكل مطلق ، وبكل شجاعة وهؤلاء الناس هم وحدهم الذين يستطيعون ترك العلاقات المميزة في الشؤون الدنيوية •

ما هو فقر المؤمن ؟ ••• غزو الزمن والقضاء ••• !
انه يمنح العبد صفات السيد •

(٣) الشجاعة : لن يتمكن الانسان مطلقاً من التوصل الى أي شيء ذي أهمية حقيقية في العالم دون أن يمتلك شجاعة جسدية وأخلاقية • فالنجاح المكتمل لا يعني سوى مواجهة العقبات التي لا تفيد في غير اختبار الأفضل من أولئك الرجال الذين يتحلون بمقادير مختلفة من الشجاعة ، ومادام الضعيف على طول الخط يعلن استسلامه دون مقاومة أمام الشجاع فان العقبات التي تملأ المسالك تكون ذات فائدة في هذا المجال حيث تسهم في تطوير الخلق ، وبلورة الفضائل الكاملة ، من الممكن أن يصاب مواجه العقبات بجروح بليغة ، أو يطعن بطعنات قاسية ، ولكنه يكتسب مما يصاب

به مناعة تحصين تصميمه ، وتحقيق له الانتصار على الخوف ، ونتيجة لذلك
فليس نمة وجود لانهايار الاعصاب ، ولا للاذعان لقوى الشر ولا للاستسلام
الا للقناعة ، وليس لكشف القوى تأثير على الشجاع الذي -

لا يسجد الا لأوامر الله •

ليحرق الحب جميع شكوكك
التزم الصدق فقط فانه وحده الذي
يستطيع أن يحولك أسد

يؤكد أقبال مراراً وتكراراً على الجيل الأصغر ، حقيقة طريق
النضال في الحياة يكمن في العيش المحفوف بالأخطار ، متحدياً جميع
القوى التي تحاول تكبير صفو متعة الحقوق الشرعية •

رمز الرجال ذوي الشجاعة هو الصدق وعدم الخوف •

أسود الله لا تعرف مراوغة الثعالب

تنبع الشجاعة من مواجهة الاخطار برجولة جسدية فقط • اذ أن هناك
شجاعة أعظم من ذلك وهي عدم فقدان الانسان مقياس ايمانه بقيمة
عندما تسود الأمور بسخر الناس من مثل الانسان العليا ، وما تزال هناك
شجاعة أعظم مما ذكرنا وهي المطلوبة في مواجهة سوء التمثيل في أيدي
الاصدقاء والاعداء ... ففي تلك الاوقات من الضيق والعباب تجهز الشجاعة
مرساة الامان للخلق الانساني ، ومحوراً ثابتاً تدور عليه الفضائل الاخرى •

الشجاعة هي الشيء ، البحث عن كل شيء يتلاشى ان تلاشت الشجاعة •

واذا كان الامر كذلك فيحسن بنا أن نستمع الى ما يقول جونسون
كاتبنا اللامع عن الشجاعة :

ما لم يكن للسان فضيلة فلن يكون له أمان للاحتفاظ بأشياء كثيرة أخرى ، اننا نشكر خالقنا ثلاث مرات يومياً من أجل الشجاعة بدلا من شكرنا له من أجل الحصول على الحُبز الذي هو نتيجة طبيعية للعمل الذي هو أحق شيء نستطيع المطالبة به بكل قوة ، وهذه الشجاعة هي البرهان على خلودنا • وهي عظمة كبرى في الحياة عندما يكون المساء ونصلي لله فالرجل الشجاع الذي ينهض من الصلاة رجل أفضل من سواء ، فان صلاته حينئذ تستجاب تقديرًا لشجاعته •

(٤) الصبر والاحتمال : - يمثل الصبر من وجهة نظر الناس الآخرين وأساليبهم قوة لنظام مرتفع ، وغرسه حسنة لأي مجتمع انساني • ومن الواضح انه لو ان كل عضو من كل مجموعة بشرية يتطور شخصيته الى أقصى حد فان عدم الصبر لن يؤدي الا الى منازعات وصراعات سرمدية ولذا على النفس أن تطور الضمير ، والنفس التي تميل بدورها الى تحسين (الذات) وكما تخلّق اقبال بمبدأ تعزيز (الذات) باعتباره احتراماً لها في 'تقى طلب ان يحذو الآخرون حذوه (١) • وهكذا فان الصبر يعزز ويقوي (ذات) الانسان والحقيقة ان الصبر بحد ذاته مولود من القوة ولكنه في عرف بعض الناس يعتبر ضعفاً ويؤكد اقبال بشدة على تطور الصبر وقوة الاحتمال •

من الخطأ التفوه بكلمة سيئة
ان الكافر والمؤمن كليهما من خلق الله
الانسانية احترام الانسان
ولذا أعرف نفسك بسمو الانسان

انسان الحب يسترشد بالله

وهو شفيق على الكافر والمؤمن على حد سواء •

ولكن يمكن التعليق على أن الصبر الذي يقصده أقبال هو في الحقيقة صبر الانسان ذي الايمان المتين الراسخ الذي امتلكه بتحقيق الاحترام المدين به للآخرين الذين تمثلوه في معاملتهم له •

(٥) كسب العيش : - ان هذه العبارة ذات مدلول شامل تنطوي تحته تطبيقات حياتية عملية واسعة ذات طاقة هائلة على قيادة السلوك البشري في جميع ميادين النشاط الانساني ، ولو أردنا التعبير عن جملة (كسب العيش) تعبيراً قانونياً لقننا أنها تعني (الاكتساب القانوني) وعلى ذلك فانها في لغة القضاة واللاهوتيين الارثوذكس تشتمل على جميع المكاسب التي لا يحرز عليها بوسائل غير مشروعة كالغش والسرقة ، والحداع ، وما يشابهها • كما تعني في المجال الثقافي الحصول على الاشياء والافكار بقدرة ذاتية من خلال بذل الانسان جهوده الشخصية ، ونضاله المتواصل ويكون ذلك بمجمله وصفاً لجميع (ذاتيات) الحياة من حيوية جهود ، وفاعلية الكفاح ، وبوجه عام فانها تفضل جميع أفكار زهد الذات • ان التمتع بأي شكل لم يكتسب بالعمل لا يمكن أن يكون مرضياً (للذات) للمجانية التي صدر عنها وأكثر من ذلك تطرفاً في عرف الذات لمثل ذلك هو اعتبار الميراث الذي يبذل لحصول جهد خارج نطاق كسبه العيش ، وبهذا الشأن يقول أقبال :

اخجل ان كنت تحلم أن ترث ياقوتة من أسلافك

ان ذلك لن يمنحك متعة البحث عن الياقوتة ، وشييه بذلك فان جميع الافكار المستعارة يجب ان تجنب دينياً •

استخرج من ترابك الخاص النار الخفية
لأن ضوء الآخرين ليس جديراً بالامتلاك

(٦) النشاط الخلاق الأصلي :

لقد رأينا موقفه من كسب العيش ، واغراقه بسيول من الاطراء ،
والخطر الذي يفرضه على الحياة التي تبني نشاط الذات للتوصل الى التطور
المناسب ، غير أنه يعود اليها في هذا الموضع ليوسع لنا مفهومه في النشاط
الذاتي ويتعد عن منطلقه الاول بقوله : -

ان النشاط الذاتي يجب أن يكون خلاقاً وأصيلاً ، أما اذا اكتسبت الذات
تعزيزها ، واستطاعت امتصاص التنكر البيئي والتقليد الاجتماعي الموروث
والمكتسب الذين لا فائدة منهما فيجب حينئذ صرف التشجيع عنهما •

لا تحتقر تطلع الشخصية للسمو بخضاعها للتقليد
كن حارساً ساهراً عليها فانها جوهرة لا تقدر بضمن

ويركز بشكل عارم على الفعل الخلاق ، مستشهداً بالقرآن الكريم الذي
يذكر تعبير (الخلايق) الى جانب الله والواقع ، ووفقاً لمفاهيم اقبال فان
الفرق بين المؤمن والكافر لا يتحدد في ايمانه اللاهوتي أو عدمه بل هو كامن
في طاقة المؤمن الخلاقة التي لا يتوفر الكافر عليها ، وانسجاماً مع ذكر ذلك
التفكير يتحدث على لسان الله :

ان الكافر هو الذي لا يمتلك
في معرفتنا قوى خلاقة • •

التأصل والخلق ليستا صفتين ممنوحتين للبشر بمقاييس متساوية • لذا
يكون حافز الخلق لدى كل ذات متهيئاً على الدوام لتحقيق نفسه بما يوفر

لها تجاوز الحد الذي بلغه وهذه الذات تكون متأثرة بموامل عكسية ناتجة
اما عن نظامنا التربوي الفاسد أو عن تصرفات السلطة الخاطئة وعلى الذات
في هذه الحالة التي تفرض عليها اختصاص الآثار السلبية لما سبق
ان تعمل على ازالة تلك الموامل العكسية عنها وتحث السير في طرق خلاقة
أصولية . ان العنصر الخلاق في الانسان يرفعه الى الارتقاء السماوي لتثييط عزم
الحافز الخلاق العكسي الذي يفسد خلق الانسان ، ولا يدل الفشل في ميدان
الجهود الخلاقة على أي شيء سوى كونه مجرد محاولة ديناميكية خلقية .

لقد وقفنا فيما ذكرناه سابقاً على القوى التي تقوم بتحسين الشخصية ،
ولتوسيع صورتها أكثر نذكر المؤثرات التي سببت اضعافها والملخصة فيما يلي:

(١) الخوف

(٢) التسول (طلب المعونة)

(٣) العبودية

(٤) الفرور الذاتي •

وهذه الحصال الأربع هي التي تضعف الشخصية وتجعلها في المنحدرات
وبالتالي تعدم الشخصية الفردية وتحرمها من نعم الله - لأن الجبان لا يمكن
أن يكون شيئاً مهماً مهما طال الزمن ومهما تداولت الأيام ومثله مثل
المستجدي المستعطي ومثل العبد الخنوع ، ومثل الرجل المفرور الذي لا هم له
الا التبجح والتعالي الأمر الذي يجعل شخصيته المفرورة شخصية واهية
مزعزعة مهزوزة لا كيان لها ولا قدر •

وفي الآتي بحث مختصر للنقاط المذكورة : -

(١) الخوف : ان مثل الخوف كما هو معروف عنه ، وفي جميع جوانبه لا يختلف عن القلق والغضب ، والحقد ، والجبن ، فهو العدو الأكبر للجنس البشري الذي يتفوق بمؤثراته العميقة على جميع المؤثرات المعوقة للنمو البشري . ولكن قوة تأثيره في سلب الانسان معظم كفاءته ، وتنكيد سعادته ، وجعله الكثيرين من الخاضعين لسلطانه جنساً لا يجرؤون على تحقيق ما تصبو اليه مطامحهم مهما كان تصنيفها في قاموس العدالة ، واللاعالة وللخوف سوى ذلك صفات ذميمة عديدة فهو مصدر جميع الامراض التي تصيب النفس الانسانية وتطور العقل العكسي أي غير السليم بنسجه غلاًفاً حول طبيعة الانسان لاعاقة نموه الاخلاقي . لقد توصل اعلام علم النفس الحديث وعلى رأسهم فرويد ، وجونك ، وادلر بعد بحوثهم الدقيقة ، وكشف الحجب الكثيفة التي تغلب دواخل الانسان ودراسة المؤثرات العميقة للخوف على الطبيعة الانسانية الى ان معظم حالات الاختلال العقلي الذي يصيب البشر كالرجال المستأسدين ، والجبناء ، والطفاء ، والدكتاتوريين لا تنبع أصولهم الا من الخوف .

لقد علقت الكاتبة التركية الموهوبة هاليد أديب HALIDE EDIB

في كتابها داخل الهند ان راحة عقل الطفل من الخوف في الشرق ذات أهمية اساسية للحياة البيئية ، الحياة المدرسية ، الحياة المدنية ، كلها تستعمل لتدريبه بواسطة الخوف ، ان عصا المدرسة ، او الارواح الخفية تلاحقه من المهد الى اللحد ، فالآباء والمعلمون والحكام والمواطنون

والمستوطنون استعملوا على الاكثر الخوف والضرب - الضرب - والنتيجة التي تؤدي اليها كل تلك الافعال لا تمدوا الجبن وغرس جميع أنواع العلل المرضية في الفرد ، او الاستشاد ذاته عندما تسنح له الفرصة ١٠٠٠ (١) ومن ثم فانه من الضروري ان تغلب (الذات) على تأثيرات الخوف المسببة للشلل ، قبل ان تصل الى النضوج الكامل :

يا أيها السجين في سجن القلق والارتباك

تعلم من النبي هذا الدرس (لا تحزن)

فان كان لك رب ، فتخلص من القلق

تنقذ نفسك من التفكير بالربح والخسارة

ان قوى الايمان تضي على الحياة طبيعتها الراسخة

وعلى الانسان ان يتلو كلمة لا تخف

فعندما ذهب موسى الى فرعون

ملأ قلبه بقوة من الكتمان (لا تخف)

ان الخوف من اي شيء سوى الله أمر يدعو للسخرية

فهو لص في قافلة الحياة

ومن أدرك سر المصطفى

يرى الكفر مخفياً في الخوف.

(٢) السؤال (الاستجداء) لقد استعمل اقبال هذا الاصطلاح الدال على طلب المعونة من الآخرين القادرين على تقديمها مطابقاً لاستعماله في اللغة الانكليزية (٢) وزيادة على ذلك فانه توسع فيه ، وأضاف اليه معاني اخرى لم تكن مألوفة باستعماله . ومن تلك الاضافات الابن الذي

1) HALID Edib Inside India P. 107

2) Beggary

يرث ابيه ، والانسان الذي يستعير أفكار غيره مدعيّاً انها من نبات
ذهنه ضمن قائمة المتسولين •

وطلب الاعانة او التسول يجعل الفقر يصبح شديد المقت ، كما
يحول الشحاذ الى حالة من الفقر متفاقمة • زيادة على حطه من
قيمة النفوس ، وتجريدها من نورها الساطع •

ان التقدم بطلب ، أنحس الأشياء يجب منعه دينياً ، وخير مثل
على ذلك ترجل الخليفة عمر عن بعيره وتناوله سوطه الذي سقط منه
بنفسه ليمنع اسداء جميل احد عليه ولم يطلب من أحد مساعدته
بتناوله واعطائه له •

كن مثل عمر الذي ترجل من بعيره
واحذر ان تكون مدين لأحد بالجميل حذراً شديداً •

ويدخل اقبال قائمة الشحاذين ايضاً جميع مستغلي جهود البشر
الآخرين مهما بلغوا من درجات الرفاء لاقتصادهم الى خلق رفايتهم
وثرائهم بأنفسهم ، كما انه يجعل ضمنهم ايضاً الملوك الذين يعيشون
على حساب رعاياهم ، ولا يقومون بأي عمل ، انه يساوي بين الصدقة
والجزية والضرائب ، كما انه يعتبر جميع المتطفلين الذين يتشرون في
المجتمع تحت أسماء براءة ذات وضع مثير شحاذين كذلك • ويلخص
اقبال رأيه بالتسول بقوله : تصور أي تطور عظيم يحدث للمخلق
الانساني ، واي كشف للثروة الداخلية للطبيعة الانسانية ، واية اضافة

للفكر الانساني تأخذ طريق سموها غير المحدود لو الغي هذا الفعل
المسمى بالتسول من قاموس الوجود •

(٣) العبودية : (١) ليس ثمة شيء من الأفعال الانسانية البشعة
التي يقوم بها الانسان حينما يفقد معنى بشريته أكثر فطاعة من العبودية
التي تفسخ الأخلاق ، وتهبط بالانسان من مرتبة البشرية الى المستوى
الحيواني دون الطبيعي ، وحسبها انحطاطاً كونها تؤدي الى اضعاف
الذات الانسانية ، وتوجب استئصالها اذا كانت الذات البشرية تتطور
بشكل عام • ان العبودية بمعناها المطلق لا تعدو سوى أحد الانماط
الاجتماعية الرديئة التي يخططها الانسان الذي تلفى مشاعره الانسانية
الحقيقة لفرض استقلال اخيه الانسان •

ولذا فلا يمكن ان ينمو الرجال الحقيقيون الا في ظلال الحرية فقط ،
والتي يستمدون منها روحهم التي تسمو بهم في آفاق الخلق العلمي
والعملي والفكري •

يقتل القلب في الجسد بسبب العبودية

وتصبح النفس تحت ضغط اسرها عبثاً ثقيلاً على الجسد وبسببها
تفكك جميع الروابط الاجتماعية ، وانها مصدر الصراع بين جميع البشر •
انني في هذا الوقت الذي أبحث العبودية وأبعادها في جزء
كبير من العالم ، فانها ما تزال موجودة قوية الشوكة في عالمنا هذا
بشكلها السياسي والاقتصادي ، وتحت تأثير مثل الأحوال فان الجسد يكون
نهباً للاكتئاب بحيث ينساق الى الجمود نحو الذات لأنها تحتاج
الى الحرية في نموها الطبيعي •

ولهذا فان جميع أنواع الاخضاع السياسي ، والاستعباد الاقتصادي يجب منعه ، وحظره ان كان الجنس البشري يطمح في الوصول الى المكانة الروحانية والأخلاقية المتسامية في الانهائيتها •

(٤) التفاخر بالأنساب : ان هذه الظاهرة التي تقيم الحواجز المنيعه بين الناس يجب القضاء عليها قضاء تاماً ، وقطع شأفة تشجيعها ، ومن ينحي اليه • اذ ليس ثمة لهذه الظاهرة السلبية من قيمة جوهرية سوى استنادها الى اعتبار الانتساب الشخصي او الانحدار السلالي المتمثلين بالعرق والأمة ، والعشيرة والمجتمع والطبقة الاجتماعية ، والتكوين العائلي • وتنتج عن هذا النمط الاجتماعي المزاعم الخيالية التي ينسبها كل متفاخر بانتسابه الى احد تلك الاقسام الاجتماعية التي ذكرناها الى نفسه •

ويتجدد ميلاد هذه الظاهرة ببداية استيلاء بعض الاسر على دفة الحكم ، وتمركز القوة السياسية في أيديها ••• وبعد ان مرت بمراحل متنوعة كثيرة اصبحت في الآونة الأخيرة موضع الاحتقار ، وبرغم النتائج التي تمخضت عن الحروب وانبثاق البلشفية التي أنزلت التفاخر بالانساب من عرشه الى الخضم الادنى الا ان التقسيم الطبقي مازال مستمراً على تشجيعه ، ومحاولة انقاذ موقفه الخاسر • وقد اشار الى تلك النتيجة هكسلي ، وهادون •

(ان وجود شعب واحد خرافة لا يقرها مفهوم التكوين الاجتماعي للشعوب التي يختلط بعضها ببعض بشكل حاسم • اما الفروق البيئية ، واللغوية ، فانها أثبتت بعض الادعاءات التي يتبجح بها البريطانيون كالمستر

كليلينك مثلاً وهي لا تختلف إطلاقاً عن ادعاءات بني اسرائيل ممن قام بتأليف الاناجيل (١) •

واذا كانت العائلة تكويناً ناتجاً عن عوامل بايولوجية فإن الأمة - الدولة - هي مفهوم عصري ، غير ان التمسك بالعرق قد تجاوز في عصرنا هذا كلا المفهومين السابقين باختلافه أحد العلوم الاجتماعية لخدمة تبرير التمايز الطبقي والطموحات السياسية وبالرغم من كل شيء فإن التفاخر بالعائلة او الأمة ، او العرق كلها خارجة عن الخط الانساني ، ومفاهيمه الصحيحة الناضجة لكونها تشكل عرقلة النمو الانساني ، واعاقة لتطورات الذات •

ان تفاخرك بالأجداد أمر خاطيء
ان نوع ارتباط الانسان الحي بأجداده الاموات
هو ارتباط ملغى في عرف الحياة
لأنه ارتباط جسدي ، ومادامت الأجساد فانية
فإنها تصحب معها ارتباطها الى عالم الفناء
ولكن اسرارها كامنة في قلوبنا

ويجب ان يلاحظ ان عدداً من العوامل المذكورة تمثل ايجابية وسلبية الصورة نفسها ، واكثر دلالة على ذلك المثال الآتي : ان الرجل الذي يعمل بشجاعة لا يعرف للخوف معنى ، كما ان الرجل الجاد في كسب عيشه في حصانة من الالتجاء الى التسول ، ولذا فمن انه الثمرة الأخيرة لشجرة انسانية ، انه الحاكم الحقيقي للجنس البشري مملكته هي مملكة الله على الأرض •

1 - J. S. Huxley And A. Chadon : Hadon Europeans, p. II

اظهر يا راكب المصير
اظهر يا ضوء ظلام منطقة التغير
اصمتي يا ضوضاء الالم
شنفي اسماعنا بالموسيقى
ارفعني صوتك الساحر واعزفي على القيثارة لحن الأخوة
أعيدي الينا كأس المحبة
أعيدي ثانية ايام السلام الى العالم
امنحي رسالة السلام لأولئك الساعين للحرب
الجنس البشري هو حقل القمح وانت الحصاد
انت هدف قافلة الحياة

... غير ان قواعد تطور الفرد الموضحة اعلاه تستطيع الذات بموجها
أن تتطور تطوراً كاملاً ولكن بالتعاون مع ذاتيات اخرى وليس في عزلة
على الانسان الكامل ان يعمل بالتعاون مع الآخرين ليقم مملكة الله
على الأرض لأنه لا يستطيع الحياة مستقلاً عن بني جنسه وعن المجموعة
التي هو فرد منها . وبياناً للحقيقة فان هذا التعديل للنشاط الشخصي
للمصلحة الاجتماعية هو ذو فائدة أساسية للانسان ذاته لأنه لا يستطيع
ان يصل الى ذروة امكاناته بدون ان يعبر عن الغرض الاجتماعي وهذا
يعني ان على الذات ان تحيا وتعمل في مجتمع (يعني المجتمع الراقي) مشيراً
الى تأثيره على الأفراد . ويرد هنا بهذا الخصوص تعليقات ماك دوكال: قد يبدو
ومن المحتمل حدوث تأثير المجتمع في قوالب اخلاق اعضائه في عزلة عنه .
فان سلوك جميع الرجال سيكون وقحاً ، ساعياً وراء النفس بلا رحمة
بلا كبح من قبل اي اعتبارات اخلاقية كسلوك جميع الثدييات (الحيوانات

اللبونه (الأخرى (١) ولذلك علينا ان نقرر اي نوع من المجتمع هو المطلوب من اجل التطور المحرر للذات وأي نوع من المجتمعات يقدم المجال الاعظم له عندما يتطور قبل تقرير طبيعة مثل هذا المجتمع المثالي وعلينا ايضا ان نقرر العلاقات القصوى بين المجتمع والافراد ، فئمة فريق من الناس الذين يعتبرون الفرد هو الغاية العليا لعملية الحياة ، والدولة مجرد أداة لتطوره ، ومن ناحية اخرى يوجد اتباع هيكلي (Heglians) الذين يعتبرون الدولة بصفتها ذات شخصية عليا وتكاملها أكثر أهمية بالتمتع بحقوقها من حقوق الفرد وبين هاتين الغايتين يتخذ اقبال وجهة نظر متزنة اذ يعتبر نمو شخصية كاملة حرة امرا مستحيلا ما لم تحصل على مساعدة من ثقافة المجموعة الذي هو عضو فيها ومن جهة أخرى في مصالحها الخاصة تؤدي واجبا للفرد ولذا فانها تتدخل بتطوره في افتراض ممكن ودعم الوضع الذي يتطلب المصلحة العامة باختصار نوعية حياة المجتمع هي كليا نوعية حياة الفرد بمقياسها الواسع وما لم تكن نوعية الفرد سليمة ومنظمة فان المجتمع يكون دائما في حالة فوضى ، وكما يقول فليكن :

الآن هذا هو قانون الغاب ، قديم وصحيح كالسما ، والذئب الذي سيحرسه قد ينجح ، ولكن الذئب الذي سيخرقه يجب ان يموت •

كالنبات الزاحف الذي يلتف حول جذع الشجرة يجري القانون الى الأمام والحلف • مع ان قوة القطيع هو الذئب ، وقوة الذئب هو القطيع •

وقد أشار اقبال الى ذلك بطريقة أفضل حيث قال :

ان ما يختص بالفرد من الناحية الاجتماعية فارتباطه بالجماعة خطوة مباركة تؤهل جدارته الكامنة للحصول على الكمال من الجماعة •

وعندما يعرف الفرد نفسه بالجماعة
يكون الفرد المنزل عديم الشعور بالموضوعيات
وتكون قواه نزاعة الى الانحلال

لمثل هذا المجتمع المثالي وضع اقبال ثمانية متطلبات ضرورية :

- ١ - يجب ان يعتمد على اعتبارات روحانية مثل التوحيد .
- ٢ - يجب ان يتركز حول قيادة ملهمة او نبوة .
- ٣ - يجب ان يحرز على قانون يسترشد به .
- ٤ - يجب ان يكون له مركز خاص به تشع منه نشاطاته (مكة) التي
يجب اليها الناس « التي فيها بيت الله الحرام » .
- ٥ - يجب ان يكون له هدف واضح يناضل من أجله مع المجتمع الذي
يناضل بكامله للوصول اليه .
- ٦ - يجب ان يتوصل الى التفوق في التغلب على قوى الطبيعة (العلم) .
- ٧ - يجب تطوير الذات الجماعية او الاشتراكية بالطريقة نفسها التي
تطور بها ذات الفرد .
- ٨ - يجب ان يكون الحارس على الأمومة .

والآن سنبحث هذه المتطلبات بالتفصيل :

١ - التوحيد : ان أي مجتمع يفشل في معرفة الاخوة الأساسية
للجنس البشري يحكم عليه بالفشل . وبعتماد انساني على اعتبارات
العرق ، واللون والعقيدة ، او الجغرافية يكون شبيهاً ببناء بناية مهيبة
على غير أساس متين فان آراء المجتمع ان تنهض على أسس آمنة
فيجب ان تكون تلك الأسس روحانية . عميقة الجذر الروحاني

لا تتأثر بأي تأثيرات مضادة • وهذا الأساس الروحاني مجهز بمبدأ التوحيد ، والذي يعطي أساساً لوحدة العالم بقبول المبدأ الأساس القائل بأن الجنس البشري يمثل اخوة واحدة ، مبدأ التوحيد من وجهة النظر السايكولوجية يسعى الى ان يعيد عالم ممزق الى وحدته فهو يقدم لجميع الأعضاء في المجتمع وحدة الفكر ووحدة العمل •

ومن ثم فان جميع الأديان العظيمة قد أكدت هذه العقيدة • لم يكن اله قبلي ، ولا اله بعدي ، لتسجد لي من دوني لأنني الله الغفور الرحيم(١) •

ويقول القرآن المجيد(٢) : « ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثماً عظيماً » •

نجد الثقافة الجديدة أساس وحدة العالم في مبدأ (التوحيد) ان أهمية التوحيد كالسمنت يمنع عناصر التفسخ الانساني وقد وضعها اقبال في السطور التالية بإشارة خاصة الى المجتمع الاسلامي •
والعاطفية للجنس البشري فهو يتطلب الاخلاص لله وليس للعروش •
وحيث ان الله هو الأساس الروحاني المطلق لجميع الحياة فان الاخلاص لله في الواقع يعادل اخلاص الانسان بطبيعته المثالية الخاصة(١) •
ان الايمان بالله واحد يزود الانسان بمناعة ضد تلك القوى الرجعية التي تستغل الاحقاد وتثير الطائفية • انها تجهز أساساً سيكولوجياً

(Exod xx 3-5)

١ - التوراة

٢ - القرآن الكريم - سورة النساء - الآية (٤٨)

3 - The Reconstruction of Religion in Islamic p. 140

للمجتمع باستعادة الوحدة الضرورية للجنس البشري ، وبالأصرار على ان الجنس البشري بكامله يمثل اخوة واحدة مرتبطة بعضها ببعض برابطة روحانية . ومثل هذه الأفكار تستطيع ان تعمل بصفتها قوى موحدة وتحطم انقسام الجنس البشري الى عشائر متحاربة ومعسكرات عداوية .

ان ما يؤدي الى الوحدة بين مائة فرد

ليس سوى سر من أسرار التوحيد

الدين العقل والقانون جميعها من مؤثراته

السلطة ، القوة ، التفوق ينشأ منه

ان تأثيره يحرر العبيد

وهو قادر على خلق نماذج جديدة منهم

فمنه يهرب الشك والخوف ، وتبقى روح العمل

وترى العيون سر الكون نفسه

(٢) النبوة : ان الدور الذي لعبته النبوة في منح الانسانية

قيمتها لا يمكن صرف النظر عن تقويمه والتكريس الذي قدمه الناس

تجاه الأنبياء العظماء وضع لنا مقياساً لمعرفة الجنس البشري عن

مدى ما هو مدين به لأولئك القادة الملهمين . وكان الاخلاص للانبياء

دائماً مصدر قوة لشعوبهم ، وبالنسبة للمسلمين فان الشخصية البارزة تجهز

نقطة مركزية حيث تحيط بها جميع أنواع الاخلاص وتخفي جميع

الاتجاهات الفاسدة . وهكذا فان الايمان في النبوة او القيادة الملهمة

تحدنا بحجر الزاوية المهم الثاني لبناء المجتمع المثالي .

مرحباً . مجيئك أعاد للحياة ربيعها :

أمدنا ظهورك بتفسيرات لأحلام الحياة

نالَت الأرض مجدها من قُصْرِكَ
وتشرق الشمس من الشرق بتقيلها سقْفَكَ
وأضاء اشعاع وجهك الكون
فلا تترك ، والاعجام والعرب كلهم أتباعك
فقد أنرت شموع الحياة في الكون
وعلمت الصبية معرفة الاسياد
ان وجودنا على الارض يرتكز على النبوة
وقد اشتق ديننا من النبوة ، وشريعتنا
لقد وحد النبي مئات الآلاف منا في قلب واحد
بحيث التحمت جميع الأجزاء بعضها ببعض بلا انقسام
ومن النبوة توصلنا الى وحدة العقيدة
التي أنتجت لنا وحدة النفس ووحدة الهدف .
وسوف يتبين لنا ان المجتمع عندما يبنى على أسس روحانية
توحيدية ونبوة مميزة عن الأسس الدنيوية ، فعندما يتوقف عن كونه وظيفة
مكانية او زمانية انه يحرز قيمة لا تبطلها مثل هذه الحدود
ويصبح أبدياً لا يتلاشى ، انه يمتلك قوة مساندة تمكنه مواجهة جميع
المهاجمات من الداخل والخارج . والواقع فانه يحظى بذلك بما أسماه
فلاسفة الهندو نوعية اللاهوت .

(٣) قانون : (القرآن الكريم) يجب ان يكون للمجتمع قانون
للسلوك لكي يرشده أثناء زمن الاضطرابات وعدم الاستقرار وسط
تذبذب القيم التي تطبع الصدق والتأكد النابعين من أوضاعها المرتبكة .
الجيل مقبل ، يظهر مؤمناً بالخرافات وفارغاً من المعتقدات في عيون الأجيال
المتعاقبة ، والقانون يمنع الاستقرار للحياة . ففي هذا العالم المتناوب

القيم ، وعندما يواجه المجتمع بمتاعب الحياة يبدأ بفقدان الثقة بالنفس في مقياس القيمة ، فالقانون يفيد كونه مرشداً يقود المجتمع الى شاطئ الأمان وبدون قانون مناسب للسلوك فان الحياة الاشتراكية سوف تنتهي بالتأكيد بفوضى . وبالنسبة للمسلمين فان القانون جاء به القرآن الكريم .

انه آخر رسالة للجنس البشري

وحامله هو بركة للعوالم كلها (رحمة للعالمين) •

٤ - المركز : (الحج)

يحتاج كل مجتمع الى مركز تشع منه جميع نشاطاته الثقافية والاجتماعية وتمد هذه النشاطات المجتمع بدم حياته ويؤدي المركز وظيفة القلب حيث يجهز الاطراف البعيدة بالدم النقي الطازج وطالما كان المركز هو مصدر الدم واهب الحياة ، فان الجسد بكامله سيؤدي وظائفه باتقان وبدون خلل • فقلب المسلمين جميعاً هو مركز اشعاع النور والهداية (مكة المكرمة) وهي بمثابة ذلك القلب يحج اليها المسلمين وهي مركزهم الاشعاعي الذي يمنحهم التعارف والتعاطف والنور ويهديهم الى الصراط المستقيم وهي مهبط الوحي والتنزيل « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » •

٥ - الهدف :-

لاحراز تضامن حقيقي يجب ان يكون لكل جماعة او مجتمع هدف محدد وواضح جيداً تجاه المنجزات التي توجه اليها جميع النشاطات وهذا الهدف يفيد بكونه علامة مميزة لارشاد المجتمع عندما تنشأ أسباب التفسخ والانحلال حالة تفكك في اهداف بين الجنود العائدين وبالنسبة للمسلمين فان هذا الهدف هو وليد شريعة وحدانية الله او التوحيد وهو

أبلى هدف يمكن التفكير به • وقد يكون للآخرين مثل هذا الهدف الديني كغزو البلاد أو التوصل إلى سلطة سياسية والسيطرة ولكن أولئك غير قادرين على انعاش حياة ذات تحمل عال وعدم انانية وهذا لا يحققه سوى هدف روحاني عظيم. توحيد الله والخلوص إليه واتباع شريعته •

٦ - غزو قوى الطبيعة (العلم) :

على كل فرد يود تحصين شخصيته أن يحرز سيادة على بيئته أي يتوصل إلى السيطرة على قوى الطبيعة بتطوير دراسة العلوم ، ويعني هذا تطور نظرة الإنسان العلمية الخارجية والذي يبدأ من خلال ذلك بالتعمق في أغوار الطبيعة ، بينما يكون هذا ضرورياً للفرد ، فإنه بالنسبة للمجتمع فإنه موضوع حياة أو موت • أن الغرب مدين في تفوقه لتطويره للمصادر الفيزيائية ودراسة الظواهر الطبيعية ومن أحد الأسباب الرئيسية للانحلال في الشرق هو إهمال العلوم الذي أدى إلى التفسخ والانحلال السياسي والاقتصادي وبيّن تاريخ العرب النتائج التي نشأت عن إهمال العلوم في أخرج ظروف عظمتهم . قاد العرب شعوب العالم إلى دراسة وغرس العلوم ويقول بيفولت: أن العلوم هي الأثر الأعظم الذي تركه العرب للعالم الحديث •

وهذا لا يوجد في أي مكان (أي التأثير الحاسم للثقافة الإسلامية) بنقاوتها وعظمتها كما في تكوين تلك القوى التي كونت القوى المميزة للعالم الحديث والمصدر الفائق لانتصاراته - العلوم الطبيعية والروح العلمية - ، ولكن عندما بدأ العرب يهتمون العلوم فإنهم سرعان ما فقدوا المركز السامي الذي أحرزوه في العالم •

وقد كتب الدكتور ساخو (SACHAU) مشيراً الى ذلك :
ان الفضل يعود الى الاشعري والغزالي - من اعظم علماء العرب
والمسلمين - لتوصل امة جاليلو ونيوتن الى ما توصلوا اليه ، وكانت
نتيجة اهمال العرب للعلوم انهم افسحوا المجال للأمم الأوروبية من أخذ
علومهم والتقدم بها .

٧ - تطور الذات الاشتراكية : -

لكي يحصل المجتمع على الاستقرار والازدهار عليه ان يتطور
فنايته الجماعية تماماً كالفرد ، ويعتبر هذا ممكناً بالحفاظ على التقاليد ،
ولمشاهدة الدور المهم الذي تلعبه التقاليد في حياة الجماعة على المرء
ان يلقي نظرة على هذا التاريخ وخصوصاً التاريخ الاسلامي وتاريخ
العرب . فما من أمة تمسكت بتقاليدها الحسنة وأصابها الفشل ! . فبالمحافظة
على كيان أفرادها باشتراكية الجماعة والحفاظ على كل موروث حسن ولن
تأبه بأي شيء يعترضها من تعذيب وتشريد وتشيت من لدن الحاقد
والمستعمر واهله ، فبالصبر والتمسك بما لديها من تقاليد حسنة والنضال
من أجلها ستبلغ ضالتها المنشودة ، لأن التعذيب والتشريد الى غير ذلك
من التعسف بالحقوق لن يفت بمضدها ولن يكون له أي جدوى في اي
مفهوم لها . ولماذا فشلت كل المحاولات في تشيت وتميع المسلمين
والعرب : ؟ لأنه من خلال جميع تجاربهم ومحنهم فقد بقى المسلمون
والعرب مخلصين لتقاليدهم القديمة النافعة وفي حقب الازدهار يخلق
كل مجتمع تقاليد سليمة معينة ، وفي زمن البؤس لا يستطيع المجتمع
ان يفعل افضل من ان يلتصق بتقاليد حتى يتحول تجاء الجزر والمد .

٨ - الأمومة : -

لكي يفهم المرء أهمية الأمومة ومكانتها الاجتماعية في تخليد الأم وتحصين شخصية الفرد والبلوغ الى شموخ الفرد والسودد وايجاد الحياة الحرة الصالحة الحالية من الشوائب والتي تمثل ذات الله عليه فقط ان ينظر الى الفيضان المتزايد للأدب المنشور في كل قطر أثناء الأزمنة القريبة العهد مدافعاً عن الأمومة التي هي اساس بناء المجتمعات وخالقة بني الانسان واستناداً الى اقبال فان الذهب والفضة لا يؤلفان ثروة لأي شعب ، اذ ان الثروة الحقيقية للمجتمع كامنة في أبنائه ، في حيويته وقوته ، في عمله الجاد وسرعة بديهته « الانسان أئمن رأس مال » ويقول : آرثر بيرنانت : (Arthurbryant) في كتابه : القصة

الانكليزية الزاخرة بالاعمال البطولية (The English Saga)

ان انكلترا الآن تتعلم ثانية بأنه لا الثروة ولا السلطة ولا الطمأنينة سواء للطبقة او للفرد تكون غايات في حد ذاتها : وان ثروة الأمة لا تتألف للحماية الا من فصيلة ابنائها وابناء ابنائها ، فان كان الامر كذلك فان الأمومة لا تحتاج فقط للحماية والتشجيع ولكن يجب اكرامها وكل قطر في العالم يفعل ذلك في الوقت الحاضر ، وتبرهن الجوائز القيمة التي تمنح لأرباب اكبر العائلات وتكرم النساء اللواتي ينجبن اكبر عدد من الأطفال على ان العالم الحديث قد تحقق من أهمية الامومة التي وعظ بها اقبال قبل حوالي ربع قرن ، والابرز من ذلك كله عندما يتذكر المرء انه الى وقت قريب كانت الامم مازال مصممة على وضع الرقابة على المواليد وانشاء التعبير في مواقفها تجاه الامومة الا من عهد قريب وانسياقاً وراء عدم تشجيع الامومة فقد اقتيدت بعض الامم الاوربية الى ارتكاب جريمة انتحار سياسي واعتبرت وأُمم اخرى مذنبه لامتناعهم عن اداء

الخدمات لثقافتها وتاريخها وبذلك فقد أنكرت على نفسها الدور المهم الذي لعبته بمنجزاتها الماضية المؤهلة لكي تلعب دورها في الشؤون العالمية .. ولقد عبرت هيلين جاكسون عن أهمية الامومة بهذه الكلمات الجميلة الملهمة .

ان المرأة التي تخلق وتصون بيتاً ، حيث ينمو تحت سقفه أطفال يكونون اقوياء ورجالا اتياء ونساء نبيهات لهي الخالقة الثانية بعد الله .

يلاحظ مما اوردناه اعلاه ان اقبالاً في فلسفته عن الذات وتحسينها لم يقدم فقط مخططاً كاملاً لتطور الأفراد ولكنه ايضاً ثبت وضع ضروريات المجتمع ، والتي هي من جهة ستساعد على تطور الفرد ومن جهة اخرى ، ستقدم المجال الأفضل لفردية الانسان المخلقة الخالقة وايجاد المجتمع الفاضل للأفراد .

وخلاصة القول ان العلامة اقبال لم يأل جهداً الا ووضع النقاط على الحروف في كل صغيرة وكبيرة ليفرش الدرب للانسانية بالرياحين والورود وليجعلها صافية من كل شوائب الحياة ويسمو بها الى التخلص من الأنانية ويجعلها حرة في منطلق الحياة ساعة وراء كل فضيلة ومتعانة كل التعاون في جميع المجالات الاجتماعية ، الاقتصادية ، السياسية ، العلمية ، اي كل ما يتطلبه الانسان من الحياة النبيلة .

فسلام عليك يا اقبال مادام للشمس نور في الحياة وللقمر ضوء منير يسطع . ولتتحد القوى الخيرة لتتهدي بهديك وتسير على خطاك وحقاً انك الباني والصانع وانك المفكر والفيلسوف وانك الهادي والمهدي . وسلام عليك يا اقبال من وادي الرافدين وأهله وسلام عليك من

العراق الثائر على الطغيان وسلام عليك من بلاد ثورة السابع عشر
من تموز التقديمية التي هي سند لكل شعب مناضل ولكل شعب يريد ان
يكون شيئاً تحت الشمس ويتحرر من قيود العبودية والاستعمار
والرجمية • وسلام عليك من بغداد الطاهرة ومن العراق الأبي الذي ينظر
الى أدبك وفلسفتك وشعرك باعجاب وترحاب وتقدير والسلام عليكم •

كلمة الأستاذ اعتزاز حسين

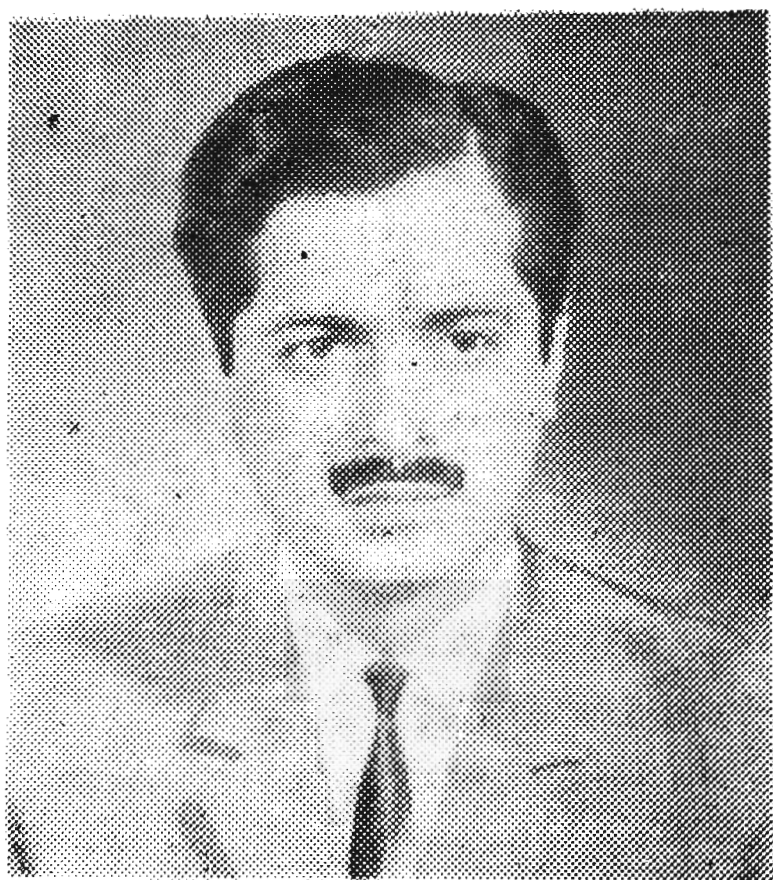
السكرتير الأول للسفارة الباكستانية - بغداد

بعنوان (اقبال شاعر الشرق)

بمناسبة الذكرى المئوية لميلاد اقبال

مترجمة عن الانكليزية

ترجمة مهدي حمود الفلوجي



(٣) الأستاذ اعتزاز حسين السكرتير الأول لسفارة
الجمهورية الباكستانية - بغداد •

اقبال شاعر الشرق

ان من يتصفح التاريخ وخصوصاً تاريخ العظماء والشعراء يجد بحق أن العلامة اقبال شاعر فريد ليس للاسلام فحسب بل للعالم أجمع . ولم تتألأ رسالته باشاعاعها الوقاد على الاسلام فقط بل انها شملت العالم كله . فهو مصدر روحي للمسلمين في كل أرجاء العالم . فكره وفلسفته وفنه لا تنحصر في فترة زمن واحد وفي موضوع واحد . وله فلسفة ذات أبعاد وصفات يمكن أن تكون دليلاً عالمياً في كل الأوقات . وعام ١٩٧٧ هو عام ذكره المئوية لميلاده الذي احتفلنا به . وبحلول هذه المناسبة يجدر بنا أن نقدم لمحة زمنية خاطفة عن حياة هذا الشاعر الفيلسوف العظيم .

لقد ولد الفيلسوف الشاعر في يوم الجمعة التاسع من شهر تشرين الثاني عام ١٨٧٧ في سيالكوت في باكستان . وقد وضع والده الشيخ نور محمد الذي كان يتمتع باحترام كبير لآخلاقه الدينية العالية أسس ثقافة وديانة اقبال . وقد تلمذ اقبال في المدرسة الابتدائية والجامعية في مدينته واجتاز الامتحان المتوسط في عام ١٨٩٥ في كلية الارسال السكوتلندية في سيالكوت . وهناك وقع تحت تأثير العالم البارز شمس العلماء سير مير حسن الذي صقل ذوقه الفارسي (باللغة الفارسية) وتصبّره (هداة الى) مؤلفات الشعراء الصوفيين العظماء . وبعد تخرجه من الكلية الحكومية في لاهور في باكستان عام ١٨٩٧ حصل على درجة ماجستير الآداب في الفلسفة بعد سنتين من جامعة البنجاب ومنح وساماً ذهبياً لتفوقه . وخلال هذه الفترة اتصل بالسير توماس

ارنولد العالم الكبير في التاريخ الاسلامي والفلسفة الذي بث فيه روح
 التحمس للتعاليم الاسلامية وطريقة الدراسات الحديثة الدقيقة . وفي
 عام ١٩٠٥ غادر الى أوروبا للدراسات العليا . وبعد اكماله لبحثه
 الفلسفي في هيلدبرغ ذهب (سافر) الى جامعة كمبردج كطالب متخرج
 لدراسة الفلسفة حيث اتبحت له فرصة الاتصال بالدكتور ماك تاغارث
 والاساذ (البروفسور) اي . جي . براون والاساذ (البروفسور) آر . أي .
 نيكلسون . وقد دعي الى المناقشة في مدينة لنكولن في عام ١٩٠٨ وحصل
 أيضاً على الدكتوراه من جامعة ميونخ باطروحته الموسومة « تطور ما وراء
 الطبيعة في ايران » . وفي نفس السنة عاد الى لاهور ومارس مهنة
 المحاماة . ثم عين أستاذاً للفلسفة في الكلية الحكومية في لاهور عام ١٩١١
 لكنه قدم استقالته بعد فترة وجيزة (وقت قصير) . واعترافاً بعبقريته
 (نبوغه) وتفوقه الشعري توج كشاعر موهوب في عام ١٩٢٣ وانتخب عضواً في
 الجمعية القانونية للمقاطعة في عام ١٩٢٦ وهو المنصب الذي شغله حتى
 عام ١٩٢٩ - وبهذه القابلية دافع عن الفلاحين ضد الاقطاعيين واقترح عدة
 اصلاحات كانشاء مساعدات طبية للمناطق الريفية تخصيص نصف الأرض
 لحارثي التربة (الفلاحين) وطالب باصلاحات ثقافية وتسهيلات أكثر للثقافة
 الاسلامية . وفي عام ١٩٢٨ قدم محاضراته الشهيرة التي تدعى بـ « اعادة
 بناء العقائد الدينية في الاسلام » . وقد ترأس جلسة الهيئة الاسلامية
 في عام ١٩٣٠ حيث في خطابه الرئاسي أظهر فكرة الباكستان التي بعد
 عشر سنوات ازدهرت أو أتت أكلها في قرار باكستان التاريخي عام ١٩٤٠
 في لاهور . وفي عام ١٩٣١ كممثل في مؤتمر المائدة المستديرة الثاني
 دافع عن الحركة الاسلامية (في شبه القارة) وحقوق المسلمين وتمثيلهم .
 وخلال هذه السفارة لأوروبا التقى بالفيلسوف الفرنسي البارز بركسون

وتناقش معه في فلسفة الوقت والفراغ والمؤسسة • وفي عام ١٩٣٣ اجتمع
 ببنيتو موسولينى في ايطاليا وبحث معه الثقافة الاسلامية والفلسفة • وفي نفس
 السنة زار أسبانيا وشهد تراث الحضارة الاسلامية العظيم وصلى في مسجد
 قرطبة • وفي أواخر السنة زار كابل مع وفد بدعوة من الملك ظاهر شاه
 ليزجى النصح حول اعادة بناء الثقافة الافغانية الشرقية - وفي عام ١٩٣٦
 و ١٩٣٧ أرسل عدة رسائل الى القائد العظيم محمد على جناح لتوضيح
 منهاجه (وطن المسلمين •• الباكستان) من الوجهة السياسية والثقافية •
 وفي الثلاثاء يوم ٢١ نيسان ١٩٣٨ ودع الحياة وذهب الى العالم الآخر •
 ومن مؤلفاته :

علم الاقتصاد	١٩٠٣
تطور ما وراء الطبيعة (الميتافيزيقيا) في ايران	١٩٠٨
أسرار خودي	١٩١٥
رموزي بي خودي	١٩١٨
بيام مشرق	١٩٢٣
بانك دارا	١٩٢٤
زبور عجم	١٩٢٧
اعادة بناء العقيدة الدينية في الاسلام	١٩٣٠
جاويد نامه	١٩٣٢
بال جبريل	١٩٣٥
بس جي باياد كارادي اقوام شرق	١٩٣٦
ضرب كلم	١٩٣٦
مسافر	١٩٣٦
أرمغاني حجار	١٩٣٦

الدكتور محمد اقبال شاعر الاسلام وفيلسوفه
الخطاب الذي ألقاه

الأستاذ نور الدين الواعظ المحامي
في دار السفارة الباكستانية في ١٩٧٧/١١/٩
بمناسبة الذكرى المئوية لميلاد العلامة اقبال

الدكتور محمد أقبال شاعر الاسلام وفيلسوفه

« الخطاب الذى ألقاه الاستاذ نور الدين الواعظ المحامى

أيها الحفل الكريم :

— من كشمير — بلد السحر والجمال ، والرياض الغناء ... ذات البلابل
الصداحة ، مع اطلالة الفجر الذهبية .. والمياه المتدفقة بين الجبال ،
المنحدرة الى الوديان ، بألوانها الفضية المتناثرة ، وهى تصدح
بأعذاب الألحان •

— من كشمير — تحركت قافلة مؤمنة ، حاديها صدق النيكة ، وشارتها
نداء الحق .. وأفرادها من الذين « صدقوا ما عاهدوا الله عليه ،
فمنهم من قضى نجبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا » •

— من كشمير — هاجرت عائلة أقبال مع قافلة الايمان وهى تنحدر من
أصل برهمى .. آمن جدّها الأعلى على يد شيخ صوفي • وكان
محمد توفيق جد أقبال ومحمد نور والده ، مع القافلة التى حطت
رحالها في « سيالكوت » من مقاطعة البنجاب •

— في سيالكوت — وفي روضة من رياضها ، استقرت العائلة المؤمنة ..
وفيها نمت الشجرة الزاهية أصلها ثابت وفرعها في السماء ..
فأهتزت • وربّت • ثم أثرت • فكان أقبال • الثمرة الغالية
لهذه الشجرة المباركة •

— في أحضان أم رمٍ وؤم ، عاش اقبال .. وتربى ..
فكانت ورعةً تتحرى الحلال في مآكلها .. والصدق في حديثها
والحنان في تربيتها ، وحسن المعاملة مع جوارها ..
وعنها قال اقبال .. (ساميت النجم بترتيك .. وكان فخر الابداء
والأجداد بيتك) ..

— وفي رعاية آبٍ مُملأ قلبه حباً وعشقا بالذات الالهية نشأ اقبال ،
ومن روحه العالية استمد الالهام وهو الذي قال له يوماً (يا بنى ..
أتلئ القرآن ، وكأنه أنزل عليك وعنه قال اقبال) (ومنذ ذلك
اليوم ، بدأت أنفهم القرآن وأقبل عليه ، فكان من أنواره
ما أقتبست .. ومن دُرره ما نظمت) ..

— في سيالكوت — أتم الصبى حفظ القرآن الكريم .. ومنها
تنتقل نور هلاله وفي لاهور تمَّ البدره نوراً وضياءً .. ففيها أتم
دراسته بكلية لاهور الشرقية وكان أخذ الالهام من أستاذه
(مير حسن) الذي فتح أمامه آفاق الأدب العربي والفارسي ..
فعرف دقائق القرآن الكريم .. وبلاغة الحديث الشريف .. وأطلع
على أدب المعري والمتنبي .. ووقف على آراء ابن سينا
والغزالي .. وألقت الى دقائق الفكر الفلسفى الاسلامي واستيقظ
قلبه على الألحان النارية المنبثقة من فؤاد الحكيم السنائي وقلب
فريد الدين العطار ومن مَهجة جلال الدين الرومي وعبد الرحمن
البجاي وأبي سعيد وحافظ الشيرازي .. والعراقي ..

— أجل في لاهور تكامل استيعابه للفكر الاسلامي ، وهضمة للأدب

الصوفي العالي .. وفي كليتها الحكومية تعرّف على أستاذه المستشرق المنصف توماس أرنولد ، فشجعه على الاستمرار في قرض الشعر ، والتعمق في دراسة الثقافة والفلسفة الغربية الى جانب ثقافته ودراسته للقرآن الكريم والحديث الشريف والأدب الاسلامي بمفهومه العام الشامل .. وهو الذي دفعه الى جامعات - الغرب .. فانتقل أقبال الى جامعة كميرج ، ودرس فيها فلسفة الاخلاق وعلم الاقتصاد على أساتذة كبار ، ثم قصد جامعة ميونخ في ألمانيا ، ونال منها شهادة الدكتوراه في الفلسفة برسالتة المشهورة (تطور فكرة ما بعد الطبيعة في بلاد الفرس)

وفي ألمانيا درس عن كتب ، فلسفة نيتشه وشو بنهور وهيغل .. ثم عاد الى لندن ودرس في جامعتها القانون ، ونال منها شهادة المحاماة ...

— فعاد الى الوطن سنة ١٩٠٨ ، بعد أن نال من ثقافة الغرب وفلسفته نصيباً كبيراً ، ودراية عميقة وعنها يقول أقبال « لقد اقتطعتُ من علوم الغرب شيئاً كثيراً ، وتناولتُ من خمرة حاتته كأساً دهاقا .. باله من صداد اشتريته » ..

لقد عشت بين علمائه وفلاسفته ، وبين غيده ألحسان .. يا لها من فترةٍ مظلمة .. قضيتها من حياتي حرمت فيها لذة الحب ، ونعيم القلب ..

ان دروس الحكماء قد صدعت رأسي ، وكدرت بالي ، ذلك لاني نشأت في حضانة الحب والايمان ..

— ثم يلتفت أقبال الى علماء الدين من معاصريه فيتقد فيهم الجفاف

واتساع العلم ونضجته على حساب العاطفة والحب ولوعة القلب
فيقول « ان العالم الدينى لا يحمل هما ، ان عينه بصيرة ولكنها
عصاة الدمع .. لقد زهدت في صحبته ، لانه علم ولا هم .. وأرض
مقدسة ولا زمزم » ..

أجبل ..

— عاد اقبال الى وطنه الهند .. أستاذاً جامعياً مرموقاً .. للأدب
العربي والأدب الانكليزي ، والفلسفة الاسلامية .. فذاع صيته ،
فدعته الجامعات في انحاء الهند للإلقاء المحاضرات الفلسفية والفكرية
فكانت محاضراته التى ألقاها في مدارس وجمعت في كتاب (تجديد
الفكر الدينى في الاسلام) ثمرةً يانعة من ثمار محاضراته التى
ألقاها في مختلف المعاهد والمؤسسات العلمية والفكرية .. فهى تمثل
قمة تفكيره الفلسفي ونظراته العميقة ، للكون ، والانسان ، والحياة ،
والتشريع ، على ضوء الاسلام ولكن يشوبها من الغموض ، متأثرة
من الایجاز والتركيز اللذين لازما هذه المحاضرات ، فهى في
حاجة الى التفصيل والتبسيط والایضاح ، كى تكون اكثر وضوحاً ،
وأذق تعبيراً عن الغابات والمقاصد التى استهدفها العلامة أقبال
من القائنها ..

— رغم المكانة العلمية المرموقة التى كان يتمتع بها اقبال في حياته
الجامعية ، كعميد لكلية الدراسات الشرقية ورئيس لقسم الدراسات
الفلسفية فيها ، الا أنه أثر العمل في المحاماة ، عليها ، باعتبارها مهنة
حرة يجدها فيها حرته وانطلاقه الفكرى لاداء رسالة الأدب والشعر ،
التى كان يشعر بأنها أمانة مقدسة في عنقه عليه أن يؤديها لامته
الاسلامية ..

لأن اقبالاً ٠٠ يرى ، الشعر فنا رفيعا ، يعبر عن حقائق الوجود ،
 بقبس من نار القلوب ٠٠ والصمت - في رأيه - خير من شعر
 لا يبعث في النفس قوة الحياة ، ونضرة الأمل ولا يحددو الناس
 الى المعالي ، ويحبب اليهم الحياة العزيزة الكريمة ٠٠
 ولا غنى للشعر أن يكون جمالا وجمالا ٠٠ وان يكون بانياً او
 هادماً ، وان يكون هديا الى كمال أو ثورة على نقص ٠٠
 لذلك ٠٠ فإنه عاش لرسالة الشعر التي آمن بها ٠٠ بقلبه ومشاعره ٠٠
 فترك دواوينه الخالدة ٠٠ وهي :

- ١ - أسرار خودي - أسرار الذاتية - بالفارسية نشر سنة ١٩١٥
- ٢ - رموز بي خودي - رموز تقي الذاتية - بالفارسية نشر سنة ١٩١٨
- ٣ - ييام مشرق - رسالة المشرق - بالفارسية نشر سنة ١٩٢٣
- ٤ - بسانك دار - صلصة الجرس - نشر سنة ١٩٢٤ - بالأردية
- ٥ - زبور عجم - زبور العجم - نشر سنة ١٩٢٩ - بالفارسية
- ٦ - جاويد نامه - رسالة الخلود - نشر سنة ١٩٣٢ -
- ٧ - مسافر - عن وحي زيارة افغانستان - نشر سنة ١٩٣٤ -
- ٨ - بال جبريل - جناح جبريل - نشر سنة ١٩٣٥ - بالأردية
- ٩ - بس جي بايد كرد أي اقوام شرق - نشر سنة ١٩٣٦ - بالفارسية
 ما ينبغي ان تعمل يا أمم الشرق
- ١٠ - ضرب كلیم - ضرب الكلیم - نشر سنة ١٩٣٧ - بالأردية
- ١١ - أرمغان حجاز - هدية الحجاز - نشر بعد وفاته - بالفارسية

هذا الى جانب مؤلفاته الاقتصادية .. والفلسفية .. ورسائله الى الزعماء ، خصوصاً الى الزعيم محمد علي جناح .. والى خطبه وبياناته ويوميياته التي نشرت بعد وفاته ..

— ان هذه الثورة الشعرية والأدبية والفلسفية التي تركها العلامة أقبال تكون مدرسة أدبية وشعرية وفلسفية كاملة تحتاج الى وقفة طويلة ، ودراسة عميقة ، وتحليل دقيق مع كفاءة كافية للوقوف على دقائق الآراء والأفكار التي عبر عنها أقبال بالشعر المتدفق كالحمم البركانية تارة ، وبالتعبير الفلسفي العميق ، كعمق المحيطات تارة أخرى ، فمحال أن يتمكن خطيب ، أو متحدث أو محاضر من الإحاطة بآراء وأفكار وفلسفة أقبال في خطبة مناسبة أو حديث عاجل أو محاضرة محددة الوقت ..

لذلك فإن إعطاء فكرة شاملة عن جوانب فكره أو فلسفته وشعره ، غاية بعيدة المنال في كلمتنا هذه ..

لذلك فإن إعطاء فكرة شاملة عن جوانب فكره أو فلسفته (الذاتية) التي اشتهر بها العلامة أقبال .. مع ترجمة آيات من قصيدته المعنونة (الى الامة العريية) ..

١ — ان الذاتيه .. وهى شعور الانسان باستقلاله الذاتي وابتعاده عن عبودية أمثاله من الموجودين والموجودات ، هذه الذاتية — وهى استقلال كل كائن وجودى ، بكيانه عن الآخرين — وهى جوهر الكون .. وأساس نظامه .. وسر الحياة فيه ..

لذلك يؤكد على استقلال الذات .. والشعور بكيان المستقل عن الغير ، داحضاً ، لفكرة وحدة الوجود التي تدعو الى فناء

الذات في الذات الالهية ، على مذهب بعض الأعاجم من المتصوفة ..

٢ - ان الذاتية هذه ، تعيش وتحيا ، بخلق المقاصد الرفيعة ، وتوليد الآمال السامية .. فيقول (نحن احياء بخلق المقاصد .. ونحن منيرون من شعاع الآمال) ..

وأرى أنه يستمد هذا الركن من فلسفته من الآلة الكريمة (ولا تيأسوا من روح الله) ..

لأن اليأس يدعو الى موت المقاصد ، واضمحلال الآمال .. وانطفاء شعلة الحياة في القلب ، رغم استمرار نبضاته .

٣ - ان الذاتية .. هذه تقوى بعشق ما تؤمل ، وسعيها اليه ، غير متواتية ، واقدامها عليه غير هيابة واقتحامها كل عقبة في سبيل الوصول اليه ، وفي ذلك يقول (هي بالمحبة أقوى ، وأحيا ، وأضوء) ..

٤ - ان الجهاد الدائم والكفاح المتصل ، تقوى به الحياة وتزداد وتنير ، وان الاحجام والسكون الى الخضوع والدعة يضعف الحياة .. وهذا صدى لقوله تعالى (وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم) ولقوله (ص) (الجهاد ماضي الى يوم القيامة) ..

٥ - على الانسان الحريص على ذاتيته .. أن يستخرج كل ما في فطرته من مواهب ، وان يعتمد على نفسه ، ويظهر ذاته ويتجرد عن التقليد الاعمى والركون الى غيره ، وطلب ما عند الناس ، والغفلة عما في نفسه من كنوز ..

هذه هي الذاتية ، عند اقبال .. وتلك هي وسائل دعمها على وجه الاجمال ..

وان اقبالا في فلسفته معجب بالقوة .. بمعناها العام الشامل .. فهو معجب بالفيلسوف فيتشيه ولكنه يؤاخذ على تأكيده للقوة الحسبة .. فيقول عنه ..

« انه عرف العقل لا القلب
والجسم لا الروح
والعلم لا العشق »

فالقوة عند اقبال من عناصر الجمال .. ولكن الجمال لا يتكامل في نظره - بغير جلال ، وفي ذلك يقول ..

عندى جمال في بهاء أن ترى .. في سجدة لقوة الافلاك ..
ولنعمة من دون نار نفخة .. ما الحسن الا بالجلال يحاك ..
ثم يقول ..

لا أرتضى نار الجزاء ولم تكن وهاجة ولهيبها دءراك
ويرى اقبال ان من مقتضى الذاتية .. ان يكون الانسان حراً غير
مجبور .. ومخيراً غير مسير .. وأن يسير في طريق العشق في اطار
من ضبط النفس والطاعة لأوامر الله .. وذلك عن طريق التأكيد على
الانفرادية لأن الانسان ، في نظر اقبال ، كلما انفرد ، اقتبس من صفات
الفرد الصمد ..

فينال رتبة المستخلفين في الارض ، الذين أشارت اليهم الآية

الكريمة (وجعلناكم خلائف في الارض) .. وأكملت عليهم الآية المباركة
(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض) ..
(على ان تكون هذه الاتفرادية في اطار الاعتصام بحبل الله المتين ، بدون
تمزق او تفرق) .. (.... واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا فتمشوا
وتذهب ريحكم) ومن هذا المنجم الكريم صاغ العلامة اقبال قصيدته
التي يخاطب بها الامة العربية .. فيقول

اعلموا ايها السادة : ان من ثار على شخصيته وكرامته ، ونقض
الثقة بنفسه ، مات ومُحى من الوجود . ومن فتر من معسكره
وانحاز الى صفوف الاعداء ، وتطفل على مائدتهم ، عوقب بالهوان
والشقاء .. والطرده والجلاء ..

ثم يقول ..

مهلا ايها الغافلون .. اياكم والركون الى الأفرنج والاعتماد
عليهم ، ارفعوا رؤوسكم وأنظروا الى الفتن الكامنة في مطاوى تيابهم ..
آلا انه لا حيلة لكم ولا وزر ، الا ان تطردوهم عن منهلكم وتذودوهم
عن جوضكم وحياضكم ..

ان حكمة الغرب ، قد أسرت الأمم ، وتركناها سليبة حزينة لا تملك
شيئا ..

انها مزقت وحدة العرب ، واقتسمت تراثهم ..
ان العرب لما وقعوا في حبالهم ، تنكر لهم كل شيء .. وقسا عليهم
الكون ، وضاعت عليهم الارض بما رحبت .. وضاعت عليهم انفسهم ..

ثم يقول ..

(ان الله قد رزقكم البصيرة النافذة .. ولا تزال فيكم الشرارة
كامنة .. فقوموا أيها العرب ..؟ وردوا فيكم روح الجهاد مرة
أخرى .. ان منبع القوة ومصدرها هو الدين . منه يستمد المؤمن
العزم والاخلاص واليقين .. وما دامت ضمائرکم أمينة للسر الألهي ..
فيا عُمّار البادية .. أقيم الحراس للدين وأمناء الله في العالمين ..)
ان غريزتكم العربية الاسلامية ، ميزان للخير والشر ، وأتم ورثة
للإبراهيم .. (ان الأرض يورثها عبادي الصالحون) ..

اذا تألق نجمكم ، أفلت نجوم الآخرين .. وطوى بساطهم ..
لن تسعكم الصحراء والفيافي .. فأضربوا خيمتكم في وجودكم
الذي يسع الأفاق ..

كونوا أسرع من العاصفة . وأقوى من السيل .. حتى تسرع
ركائبكم . مضمار الحياة ..

ليت شعري : من خلفكم في الحياة ؟؟ أن العصر الحاضر وليد
نشاطكم وكفاحكم .. ونبع جهادكم ودعوتكم .. وما زلت سادته
حتى أفلت زمامه منكم .. فتبناه الغرب وأمتلكه ومن ذلك اليوم فقد
هذا العصر وهذا المجتمع الانساني سموه وكرامته .. وأصبح تحت
ولايته منافقا خليعا تأثرا على الدين ..

فيا رجل البادية .. ويا سيد الصحراء .. عد الى قوتك وعزتك
وأمتك الايام .. وخذ عنان التاريخ .. وقبّد قافلة البشرية الى
الغاية المثلى ..

(ويؤلم الشاعر أقبال أن يرى العرب ، لا يزالون ينظرون الى

الاوربيين والأمريكان كأصدقاء مخلصين وأعوان منجدين .. على أمل
أن يردوا اليهم أرض فلسطين فيقول (..

(انا أعلم جيداً يا اخواني العرب .. أن النار التي شغلت الزمان
وبهرت التأريخ ، لم تزل ولا تزال تشتعل في وجودكم) ...

صدفوني .. ايها السادة .. انه لا دواء لكم في جنيف ولا في لندن ،
لأنكم تعلمون ، ان اليهود لا يزالون يتحكمون في سياسة أوروبا ،
ولا يزالون يملكون زمامها ..

ان الأمم لا تذوق طعم الحرية . والاستقلال ، حتى تربى فيها
الشخصية والاعتداد بالنفس ، وتعرف لذة الظهور ..

ثم يختم قصيدته .. بلطف واعتذار :

معذرة يا عظماء العرب .. لقد أراد هذا الهندي ، أن يخاطبكم
ويقول لكم كلمة صريحة .. فلا تقولوا ايها الكرام : هندي .. ونصيحة
للعرب !! ..

أنكم كنتم يا معشر العرب أسبق الأمم الى حقيقة هذا الدين ، وانه
لا يتم الاتصال بمحمد (ص) ، الا بالانقطاع عن أبي لهب .. وانه
لا يصح الإيمان بالله الا بالكفر بالطاغوت ..

رحم الله العلامة اقبال .. وأسكنه فسيح جناته .. ورزق الأمة
الاسلامية بأمثاله من الشعراء الافذاذ والمفكرين العظام وسلام عليه
يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

المحامي

نور الدين الواظ

فيلسوف الشرق

الكلمة التي القاها العلامة الجليل

الأستاذ خليل الله الخليلي

سفير الجمهورية الأفغانية في العراق

يوم ١٩٧٧/١١/٩

في دار السفارة الباكستانية ببغداد بمناسبة الذكرى المئوية

لميلاد العلامة (اقبال)



العلامة خليل الله خليلي

وهو يلقي خطابه في دار السفارة الباكستانية
بتاريخ ١٩٧٧/١١/٩ بمناسبة
الذكرى المئوية لميلاد العلامة (اقبال)

فيلسوف الشرق

من دواعي سروري وابتهاجي للاشتراك في هذا الاحتفال الرائع
بذكرى العلامة الكبير فيلسوف الشرق ، والشاعر العظيم ،
دكتور اقبال ..

لقد كان لاقبال في رقبتنا دين باهض تم تأدية قسط منه في هذا
الاحتفال من خلال صديقي العزيز سعادة سفير الباكستان الاستاذ
معز الدين أحمد .

ولاقبال ايضا حق لدى سائر المسلمين ..

يؤسفني جداً باتني دعيت متأخراً لهذا الاحتفال المهيّب واني الآن
ارتجل كلمات مختصرة وعاجلة .

لقد جاء العلامة الكبير اقبال الى افغانسان قبل ٤٢ عاماً ..
كان مجيئه حينذاك بداية شيخوخته وربيعان شبابي ..
وفي هذا الوقت فقد شخت وظل هو شابا ..
وسيأتي شابا مهدى الاجيال ..

لماذا .. ؟

لأن عمر اقبال لم يكن خاضعاً لمشيئة الزمان والمكان .
وكانت صدفه حسنة ان اشاهده وهو في المدينة الاثرية غزني يزور
ضريح ابي المجد سنائي غزنوي المبارك والسلطان محمود بن سبكتكين .
كان سنائي مرشداً معنوياً له ..

ان المربع الذي كون اضلاعه الثلاثة سنائي والطار ، ومولانا

جلال الدين الرومي فقد كون ضلعه الرابع الفيلسوف المجيد اقبال ..

وان آثار اقبال الخالدة بينة كبيرة على ذلك ..

لقد شاهدت اقبال وهو يركض حافي القدمين صوبه ضريح سنائي •
وما ان وقعت عيناه على مدفن فخر العارفين سنائي حتى كبر بصوت
رفيع وهوى على الارض كالمجنون •

ثم طاف حول ضريح السلطان محمود وتلا الفاتحة •

كان ذلك جنون العشق وهذا طواف الاخلاص

مضى على محمود ألف عام وعلى عهد سنائي تسعمائة عام ..
لكن اللذة التي لمستها من حالة اقبال لا تزال تتعلق بأوتار قلبي ..

سيداتى .. ساداتى

في هذه الليلة المباركة وفي قلب التراث التاريخي الاسلامي
في بغداد دار السلام حيث العلماء والعرفاء والادباء العراقيون قد
تحدثوا عن اقبال بكل اجلال وقارنوه بالبحر والسماء والشمس والقمر
والفلك والنجوم ولقبوه بالفيلسوف والمفكر والمجاهد والشاعر ..

يسرني ان اشبهه ببلال القرن العشرين ..

لأن النداء الملكوتي له وسط امم التوحيد شبيه بأذان بلال ..

مع أذان بلال ، الأبن الجشي تحطم في بيت الكعبة الالة
والعزى وهبل ..

ومع ترانيم بلال عصرنا فقد تحطم صنم الاستعمار في القارة
الهندية ..

فألى روحه المطهرة روح بلال عصرنا بأقات من رحمة الله وبركاته
الواسعة ..

ولأن المجلس قد اشرف على نهايته انهى حديثي لهذا الحد ..
وأشكر سعادة سفير الباكستان وسائر سفراء الدول الاسلامية
وعلماء ومفكرى بغداد الذين ساهموا في هذا الاحتفال .
وللنابعة اقبال رابطة متينة ببغداد لأنه هو وابوه وأمه كانوا
ينتمون الى الطريقة القادرية ..

والشيخ عبد القادر من مفاخر هذه المدينة التاريخية ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

بريالين (اقبال) روشن شمعة فيض
ان شموع الفيض تنير مرقد اقبال

القصيدة الشعرية

التي فاضت بها قريحة العلامة الشاعر
الافغاني الكبير الأستاذ خليل الله خليلي
سفير جمهورية أفغانستان ببغداد باللغة
الفارسية والتي بعث بها الى جامعة البنجاب
في باكستان بمناسبة الذكرى المئوية لميلاد

العلامة « اقبال »

نقلها الى العربية الأستاذ محمد طاهر
أحد منتسبي السفارة الأفغانية ببغداد



صورة الشاعر الكبير العلامة

خليل الله خليلي

شاعر أفغانستان

بريلين (اقبال) دوشن شجرة فيض

ان شموع الفيض تثير مرقد اقبال

(القصيدة التي نظمها وبث بها الى جامعة البنجاب)

العلامة الأستاذ خليل الله خليلي سفير الجمهورية الافغانية في بغداد
وشاعر افغانستان الكبير لمهرجان اقبال) •

لاح نسيم الخريف حاملا المسك النقي

فتبسم أيها المصباح •• وأمتجى أيتها الشمس

جاء الرسول محتضنا رسالة لاهور

رسالة تحمل تراتيل الجنة

رسالة محبة ترفع على الرأس والعين

رسول حبيب يأمل قبلات البشارة بلا حساب

لاهور موطن الأجيّة منذ القدم

ودكرى الأجيّة غير بعيدة عن البان

أنها خلاصة قصة لاهور وغزني

فلا تعبس من الحق يا صاح

فقد كانت المدينتان الهرمتان منذ الصبا

كلمتين من عبارة واحدة وباين من كتاب واحد

جاء الرسول وهمس في اذن خاطري رسالة الحياة

وأروى العاشق المتعطش بشارة ورود الماء

قال : هناك أقام الأجابة مهرجاء
مهرجاء أم التحام كوكبة من الشيب والشبان

قال : ان شموع الفيض تنير مرقد اقبال
وكالفراشة تحوم حوله الاقمار والنجوم

ليت شمعى كيف يكون ممتنا من نور الشمعة
من يشع من قلبه اشعاعات آلاف الشمس

في عصر اسود حين تحجبت ليلى الشر
وتنقبت عذراء المعاني وجلة

في زمان ديست كمة الحق بأقدام جنود الدجالين
واحتل الغراب عش طاووس الحياة

في عصر اسود حين كان الاستعمار سيد الشرق والغرب
مالكاً للرقاب بين الشامخين

وخاصة بين احرار ديار « المصطفى »
قائد المواكب الأمل ، حامل أم الرسالات

حين سقطت سيوف المهمة من أيدي فرسان الحرب
والغيورين من حجاب الحرم كانوا في سبات

كان يوم معركة غير ان المحاربين ظلوا في احلام الغفلة
كان وقت حركة غير أن أجنحة العقاب كانت متكسرة

وعقول المفكرين مشتتة في المتاهات
واحتل اللفظ مكان المعاني، والقشور احتلت الألباب
مع جناح يقينه فقد المسلم العظمة
وبقدم الريشة هوى في الحضيض

صار اللص عسماً والمغير متوجاً
وخرت بيوت الملا من ظلمهم

« والخديوي » المعتوه والملاح الغافل
ملا فدحي ملاذهما صهبا من دماء المظلومين

دمر اختلاف أهل السلطة تماماً
المزارع بزمجرة النار ، والبيادر بطوفان الماء

والمرابي القاسي صاغ خلخال عشيقته
من دممة اليتيم البائس

والثري الفاحش صنع سرجه وركابه من دموع أرملة
فقلت خيلها جوعاً

في العصر الأسود ذلك حين كانت قطرات الدموع
تلمع كالنور في تاج المندوب السامي في الهند

وسيدة العالم (١) التي لم تغيب الشمس لحظة عن
اميراطوريتها :

تضع على رأسها جبل (٢) النور في غرور

في ذلك العصر الأسود ومن خلف استار الظلمة
تجلى فجأة كوكب ساطع

كوكب «أقبال» المسلمين وقد لاح مشعا من الشرق
كوكب قرت العيون والقلوب بنوره

كانت رسالته القيمة تحتضن آثار بن الخطاب
وتحمل صفحتها المقدسة خاتم أبي تراب

اطلقها صرخة مدوية : اليمّ تنبأ أمين دلالة

أيتها الأمة الراقدة

انهضي فقد اطل الصباح

واحدثي ثورة في الدنيا

(١) سيدة العالم : ملكة بريطانيا فكتوريا آنذاك ..

(٢) جبل النور : كوه نور - اسم الماس الكبير الذي أخذه الإنكليز من

الأفغان ورصعوا به تاج الملكة ولا زال لحد الآن ..

السيف في رقاب الأحرار خير من الطوق
والمشاقق خير شموخ ورفعته لأنسان الحق

ليست في الاسلام عبودية فمزق فرمانها !
ليس في الاسلام أسر فحطم أغلاله !

حطم القفل لأن منشور الله يديك !
كسر القيود فلن تقف امام المؤمن قيود وحواجز !

الى اين يا رافع راية الحرم
هنا منهج الزمزم فالام تركض عطشانا

أنت معمار القطرة فأخلق بنفسك عالمك
حذار .. حذار من جنة الأجنبي

بصرخته تمزقت جيب السحر
وتزلزل الجرس ، واهتزت القافلة ، وتحركت سريعة

صرخة كانت أم طوفان عاصف زلزل الأرض
صرخة كانت أم برق محرق مزق السحاب

أن الزهاد عزلوا المسلمين في زاوية الجمود
فأعادهم « شيخنا » الى المعركة كالشباب اليافع

لقد هتف : الجهاد هو فخر المؤمن في طريق الحق
ووسمة الدم في الصدر أبهى من الجوهرة الحمراء

أيها المجدد يا من زينت القصور القديمة
أيها المعلم يا من أنزت طريق الأدباء والاجداد

يا بلال عصرنا .. لم السكوت
تكلم .. فقد ضقنا ذرعاً واضطراباً

نادى « الا الله » لكي ترتج البروج
على وجه هذا البساط الرمادي ،
وتحت هذه القبة الزرقاء

تكلم ! علم ! تدبر ! كبر !
يا من في جينك صبح الأمة ، لقد جاء الفجر فنور

افتح عينيك كي يهرب عفريت عصرنا
من نظراتك الثابتة كهروب الشيطان من الشهاب

علم العبيد الجنون كي تصبح المظلة المرصعة
للسادة من صرختهم جوفاء كالفقاعة

وفي قنديل العرش اشعل فتيل العشق
لكي يميز السالكون الحقيقة عن المراب

علم شباب عصرنا أسرار الاعتماد على النفس
حتى ينتزع التاج من افراسياب والجمام من جمشيد

لكي يعرف فتن المتلاعبين في عصرنا
في أكفهم احجار المحبة وتحت ثيابهم الأفاعي

حزمة شوكة لدى نثرها على تربتك
فصنع منها بلطفك زهرة عطرة

نظرة في تراث اقبال

THE LEGACY OF IQBAL

بحث الاستاذ الدكتور حسين علي محفوظ

أستاذ الدراسات الشرقية في جامعة بغداد

وعضو مجمع اللغة العربية

بتاريخ ١٩٧٧/١١/٩ بمناسبة

الذكرى المئوية لميلاد واعظ المسلمين

الدكتور العلامة محمد اقبال

نظرة في تراث اقبال

بحث الأستاذ الدكتور حسين علي محفوظ

أستاذ الدراسات الشرقية في جامعة بغداد وعضو مجمع اللغة العربية

١٩٧٧/١١/٩

خدمت شبه جزيرة الهند (اعني الهند والباكستان اليوم) الانسان والعلم والحكمة والمعرفة والفلسفة والادب والفن طول التاريخ فقد سكنت هذه الرقعة العجيبة المدهشة كل أجناس الناس واستقرت فيها كافة الملل والنحل والأديان ، وآوت مختلف اللسان واللهاجات . ونشأت فيها وحدها (١٦٥٢) لغة .

وقد انجب هذا المثلث المقلوب الغاطس في الماء الذي احاط البحر الشجاج بساقيه - من الامم والحضارات والناس والرجال والاعلام ما يكاد يعجز العد والاحصاء والحصص عن الأحاظ به .

ولقد احتضنت هذه البلاد الآداب الشرقية فوجدت اللغة العربية فيها مواطن امدت التراث العربي بأمة من العلماء والأدباء والشعراء والمؤلفين وزودت المعرفة بألوف من الكتب والمؤلفات ملأت الدنيا وحفلات بها الخزائن ، ومحققين فلقوا العويس وبالغوا في التدقيق والتتقير . واكتفي بالإشارة الى ان الشيخ المهائمي - المتوفى سنة ٨٣٥هـ - الف رسالة استخرج فيها ٥٢٤ ، ٣٤٤ ، ١٢٨ وجها من وجوه الاعراب في قوله تعالى : « ألم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين » .

واستطاعت اللغة الفارسية ان تنشيء فيها أدبا عامرا وشعراء
فحولوا بلغوا امارة الشعر وكتبا افاضل استطاعوا ان يصلوا الى
زعامة النثر . واتيح للغة التركية ان تتنفس في ارجائها فأنجبت الفد
الفرد من الشعراء .

تعود معرفتي ببلاد الحكمة وموطن كليله ودمنة الى عهد الطفولة ،
فقد كان بعض حضور مجالس العلم وأماسي الأدب في بيتنا يحدث
بطرائفها وعجائبها . وكنت أغالب النعاس في حجر الوالد حتى اغفو .
ومازلت - وقد جاوزت الخمسين - احن الى تلك الذكري ، واشتاق
الى ذلك الحديث الحلو ، ويداعب خيالي هذا الحلم الجميل .

وسمعت بطاغور وانا طفل في السادسة - لما زار بغداد -
في ربيع سنة ١٩٣٢ . وما زالت صورة الزهاوي العجوز الشاعر
الفلسفي - وقد غلبه النوم - في انتظار رابندارات من أجمل
ما حفظت من صور وذكريات قبل ٤٥ سنة .

وعرفت الباكستان والهند جيدا في اوائل الخمسينات . فقد اهدى
اليّ اصدقائي الجامعيون من البلدين في الخارج كل ما يتصل بالتاريخ
والجغرافيا والحضارة والأدب والسياسة والحياة والفن من كتب
ورسائل وكراريس . وكان الأدب ملتقى الجميع تجمعهم الدراسة
ولا تفرقهم السياسة وكانوا جميعا يصادقوني وكنت احبهم واحترمهم
وكانوا يحترموني ويحبونني وهناك - وفي ذلك الحين - عرفت اقبال .

هذا وكنت اظن ان نقاد الأدب في الباكستان يبالغون في تعظيم
اقبال ، ويسرفون في الاهتمام بشعره . والحق ان اقبال جسد بكل

تثمين وتبجيل • وانا لا اعرف شاعرا طبعت دواوينه عشرات المرات
غير اقبال • وهو امر لم نسمع به الا في الكتب المقدسة واشباهها
من الصلوات والدعوات • وهذا معناه ان شعره يقرؤه كل من تظله
سواء شبه القارة العجيب ممن تعلم بالقلم ، وقرأ الكتاب • وقد رزق
من الاحترام والتقدير ان الملايين من المسلمين في شبه جزيرة الهند
يعتقدون فيه ما تعتقده الامة في المرشد الملهم ، والباعث المحرر ، والقائد
الرائد ، والمفكر المصلح ، والسياسي الموجه ، والفيلسوف المنقذ •

ترجمت آثار اقبال الى عدة لغات في حياته وبعد وفاته وكتب
سيرته عدد من العلماء والأدباء والمؤرخين ودرس ادبه العديد
من النقاد ، وانتشر شعره في الشرق والغرب ، وهب ذكره هبوب
الريح في كل مكان •

سمعت نخبا متفرقة من اشعار اقبال كانت تقرأ في مجالس الأدب
والشعر هنا وهناك قبل ربع قرن ، وقرأت طرائف مختارة من دواوينه
كانت تزين بعض الصحف والمجلات الأدبية في باكستان وايران واطلعت
على اشتات من اقواله كانت تطبع في الكرايس والمنشورات وقد كانت
كلها صورة مصغرة للشاعر النابغة ، توجز محاسنه ، وتختصر فضائله
وترى منه ما تراه النقطة المضيئة من النجم الكبير •

ثم اطلعت على كتاب آقبال الفلسفي المشهور « تجديد بناء
الالهيات في الاسلام » الذي نشر بالانكليزية في سنة ١٩٣٤ وكتاب
« ما وراء الطبيعة عند الايرانيين » الذي طبع سنة ١٩٠٨ وعلى الرغم
من اني كنت اتعثر في اعماق هذين الكتابين الذين اذكر ان الصدق

الفاضل السيد غلام رضا سعيدى صاحب كتاب (خطر اليهود) •
دلني على احدهما وحثني على تصفحه فقد كانت مطالعة تلك الدراسة
الفلسفية مرشدا الى عظمة أقبال والدليل الى منزلته ، ثم وصلت
الي - من بعد - دواوينه ، وجمعت ما استطعت تحصيله من سيره ،
وقرأت كل ما بلغني مما يتصل به •

اهتم العراق باقبال منذ زمان بعيد ، فقد احتفلت بغداد بيوم
اقبال في آذار سنة ١٩٥٠ وكرمه جماعة من العلماء والادباء
والشعراء ونقلت الشاعرة السيدة اميرة نور الدين داود الى العريية
(درراً من شعره) طبعت سنة ١٩٥١ ، فقد ترجمت نماذج من دواوين
اقبال الثلاثة (رسالة المستشرق) و(زبور المعجم) و(جناح جبرائيل) • وكتب
تلميذي بالأمس وصديقي اليوم السيد حميد مجيد هدو كتاب
(اقبال الشاعر والفيلسوف والانسان) وقد نشره سنة ١٩٦٣
معتمداً كتب المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام خاصة ، واستشار
بعض المصادر العامة وعمله هذا تلخيص جميل والمأم سريع
وسعي مشكور •

واتيح لي انا ان ادرس (تراث اقبال) و (العناصر العريية
في شعر اقبال) وبادرت (حياة اقبال وادبه) وحاولت جمع
(أمثال وحكم اقبال) واستخرجت (ماخذ اقبال من القرآن والحديث) •

ولد اقبال في بلدة (سيالكوت) في (البنجاب) بالقرب من
مدينة (جناب) في ٢٢ شباط سنة ١٨٧٣ (٢٤ ذي الحجة سنة ١٢٨٩ هـ) ،
وكان اجداده من براهمة كشمير • وقد أسلمت أسرته قبل اكثر من

قرنين • وهاجر جده الشيخ محمد رفيق الى لاهور ، وكان والده
الشيخ نور محمد من رجالها المحترمين ، وكانت امه امام بي بي
من عقائل السيدات •

تعلم آقبال مبادئ العلوم في سيالكوت وذهب الى لاهور
لأكمال التحصيل فدرس فيها الفلسفة • وكان من أساتذته شمس العلماء
مولانا السيد مير حسن والسير آرنولد وكان مرشده في الشعر
الاردوى ملك الشعراء داغ الدهلوى •

وسافر آقبال الى اوربا سنة ١٩٠٥ ولبث فيها ثلاث سنين
فدرس في كمبرج بافكلتره وهايدلبرك ومونيخ في ألمانيا • وقد اطلع
في الغرب على آثار عدد من الفلاسفة والشعراء والكتاب الاوربيين
منهم : (لاك) و (كانت) و (شوبنهاور) و (نيتشه) و
(انشتاين) و (كوته) و (تولستوى) و (بايرون) و
(بركسون) • وقد خالف بعضهم اشد المخالفة ، واقتبس من
بعضهم ، وعارض الآخرين •

وأثر في آقبال من شعراء الفارسية متصوف الشرق جلال الدين
الرومى المولوى صاحب المثنوي ، الذى كان المستشرق نيكلسن -
حينئذ - يهتم به ويعني بترجمة كتابه العرفانى •

وعاد آقبال الى البنجاب وقد اختلط في رأسه المشرق والمغرب ،
والقديم والجديد ، والتراث والعصر ، والأدب والفلسفة ، والصناعة
والعلم ، وقد استولت على مشاعره قضية بلاده وامته ، وذكره

الغرب بمسألة الشرق • فدعا الى نعمة الحرية ، ونعيم الاستقلال ،
وتكسير اغلال الاستعمار •

كان أقبال شاعراً ملهماً - حقاً - ومفكراً مقتدراً ومرشداً
بالغا • احاط بالدراسات الشرقية والعلوم العربية واطلع على الثقافة
الغربية والفكر الأوربي •

استمد اقبال أفكاره من (القرآن) و (الحديث) و (التاريخ) وتأثر
في المنشويات بالمولوي وهو رائده في سفره العقلاني الى عالم الارواح ،
وسأقه في رحلته المعنوية الى الآفاق ، ودليه في معرجه الى الأفلاك
وقد سماه في اشعاره « الرومي » •

وقلد في الغزل سعدى وحافظ ، وسلك في الرباعيات مسلك
بابا طاهر العريان ، ونهج في نظم (لشن راز جديد) ينهج الشبستري
ويبدو في منظومه اثر النظامي الكتجوى ، وفخر الدين العرامي ،
والمنوجهرى وفاصر خسرو •

وللنقاد في اسلوب اقبال آيات مختلفان • ذهب فريق الى انه
وارث الاسلوب الهندي وانه آخر شعراء هذه المدرسة في التعبير •
وهم يعدونه خليفة (عرفي) و (فيضي) و (ظهوري) و (نظيري) و
(يلدل) و (صائب) و (كلیم) و (غالب) • وينسبه آخرون
الى طريقة (السنائي الغزنوي) و (العطار النيسابوري) و (المولوى) و
(العراقي) و (الاوحدى الكرمانى) و (كمال الدين الخجندى) •

واذا صح ان يكون لي رأى ثالث فان لاقبال اسلوبا خاصا جديدا ،
ربما فضلت ان أنسبه اليه وقد أؤثر ان اسميه اسلوب اقبال
وأنا أضيف هذا المذهب الرابع الجديد الى الاساليب الشعرية
الثلاثة من مدارس الادب الفارسي واظن ان مؤرخي الادب يوافقونني
ان اقبال هو مؤسس هذا الاسلوب ورائد هذه المدرسة وانه
امام هذا المذهب البياني ، الذى عمدة عناصره الفكر العميق ، والتعبير
القاصد ، والبيان الواضح ، واللفظ المعبر ، والاشارة الميينة ، والمعنى
الشريف ، والهدف النبيل •

كان اقبال شاعراً عتيقاً لم يتخذ اللفظ زينة ولم يستعمل
الصنعة صبغة • وانما جعل الألفاظ وسيلة للتعبير ، وقالباً للمعاني
وسلماً الى المقاصد •

واذا كان للملمهين من عظماء الشعراء اسفار خيالية في العالم
العلوى ، واذا كتب المعرى (رسالة الغفران) ، واذا نظم السنائي
(سير العباد الى المعاد) ، واذا قرض الاوحدى (مصباح الارواح) ،
واذا كان لابن العربي (كتاب المعراج) ، واذا نظم (داتيه) (الكوميديا
الالهية) ، فقد صحب اقبال المولوى وسافر الى العالم الاعلى ،
ونظم (جاويد نامه) ، فزار الافلاك ، وسمع زمزمة النجوم ، وطار
الى القمر ، ووصل الى عطار ، وبلغ الزهرة ، وعرج الى المريخ ، وصعد
الى المشتري ، وانتهى الى زحل ، ودخل الجنة •

شاهد - في سفره العقلي ، ورحلته الروحانية - الارواح ، وكلم
العلماء ، وخطب الشعراء ، وجاور الادباء ، ولاقى العظماء ، ومر بوادى

الطواسين ، ودغدغت اذنيه نغمات الملائكة ، وسمع السموات تلحي
الناس وتلوم عالم التراب •

وعلم هنالك ان واجب الانسان هو خلق العالم الجديد
في الارض ، وبذر العلم ، وزرع الحب ، وافشاء السلام والوئام
ولاقي في الفلك الخامس عذراء المريح ومتنبية السماء ، وطرق سمعه
انين ابليس ورأى النار تطرد الخائنين ، وتنبذ الغادرين ، وتلعن اعداء
الامة ، وشاهد الارواح الملعونة في بحر الدم ، ورأى ما رأى فيما وراء
الافلاك ، فخطب الجيل الجديد ، ونصح النسل القادم ، ونادى باغتنام
الوقت ، والسعي للحياة ، والعمل الدائب ، في سبيل الامة التي
تدير نفسها ، ولا تهن للغير ، ولا ترضى بالفقر ، ولا تقنع بالفاقة ،
ولا تتبدل باللباس المرقع ، ولا يجاهد افرادها لكي يغنوا العدو
ويشبعوا الأجنبي •

كان أقبال - في شعره - شاعر الحياة ونصير نظرية
(الفن للمجتمع) • والشاعر عند اقبال هو حادى الامة الى الحياة
الحرّة ، سائقها الى الكرامة ، والشعر عند اقبال هو نفعة هذا
الحادى ونشيد ذلك السائق • وللشعر في نظر أقبال رسالة وغاية •

كان اقبال يكلم الناس بالفارسية والاردوية والانكليزية وكان
يعرف العربية وقد تعلم الألمانية فقد كانت الاردوية لغة المحاورّة
والكلام ، والعربية لغة العلم والدين ، والفارسية لغة الأدب والشعر :
والانكليزية لغة الدراسة والحكم ، والألمانية لغة الدكتوراه •

وقد جند شعره بالفارسية والاردوية لتحقيق رسالته
ونشر أفكاره •

خلف اقبال خمسة دواوين باللغة الفارسية ، تبلغ أوراقها
جميعا (١٠٢٨) صفحة ، ونظم اربعة دواوين باللغة الاردوية تبلغ
معا (٦٩٢) صفحة وهو تراث شعري عظيم •

يشتمل هذا المجموع الكبير من الشعر على ألوف المعاني
الاصيلة ، والا افكار الجديدة ، والمضامين البديعة ، هي - في
الحقيقة - فلسفة اقبال ، ورسالة اقبال ، وادب اقبال •

ليس سهلا على الباحث ان يوجز فلسفة اقبال ، وليس يسيراً
على الدارس ان يلخص دعوة اقبال ، وليس شيئاً هيناً ان يقوم شعره
وأدبه • ولكنني استطيع ان اقول ان رسالة اقبال هي شعره ،
وان شعر اقبال هو قالب فلسفته ، وان فلسفة اقبال هي دعوته ،
وان دعوة اقبال هي هدفه ، وان هدف اقبال هو الانسان
يعرف نفسه ويحترم الانسانية ويسعى لبناء الامة ، اى ان الفرد كيان
الامة وهي تنطوى فيه ويفنى فيها ليحيا فيها وتحيا فيه •

والحق ان شعر اقبال هو الانموذج الوحيد في تاريخ الأدب
الذى يكون الادب فيه رسالة ، وتكون الرسالة فيه بلغة الشعر ،
ويكون الشعر فيه لساناً للدعوة • وتكون الامة فيه موضوع الدعوة ،
وتكون الحياة عنوان الموضوع •

ان أساس التقدم في رأى اقبال ، هو النظر المحقق ، والعقل

الفعال ، والصناعة المبدعة ، والعمل المستمر ، والفرد الخلاق ،
والحركة الدائبة ، والامة الحية ، والوحدة المروضة ، والتعاون
النافع ، والانسانية الشاملة ، والحياة الافضل ، او الموت بالعار .
كان يطمح ان يعرف اهل الشرق ، قدر الشرق .

كان اقبال ينظر الى (الانسان) ويفكر في هذا (الكل) ،
ثم وجه وجهه للمسلمين ، ثم نظر في الهند ، ثم اقترح تشكيل الدولة
الاسلامية ، التي ولدت الباكستان في ١٤ آب سنة ١٩٤٧ بعد مخاض
دام سبعة عشر عاماً .

تأثر اقبال بالتراث العربي والاسلامي واحب اللغة العربية وامده
ماضي العرب وتاريخ الاسلام بكثير من مادة الشعر وعناصر الالهام .
فان (محمداً) النبي العربي في شعره هو الانسان العظيم والرجل
الاكبر ، والمثل الأعلى والرائد القائد ، وقد تكرر ذكر الرسول
في دواوينه ١٤٣ مرة ، وذكر الحجاز ٤٤ مرة ، وذكر الحرم
١١٤ مرة ، وذكر العرب ٥٩ مرة ، وذكر العراق ١١ مرة . وانتشر
في ديوانه من اسماء بلاد العرب ذكر البحر الأحمر ، والمسجد الاقصى ،
وبدر ، والبطحاء ، وبغداد ، وحلب ، وسيناء ، والشام ، والطور ،
والكعبة ، وخيبر ، والفرات ، وفلسطين ، والكوفة ، والمدائن ،
ومصر ، ومكة ، ونجد ، والنيل ، ودجلة ، ويشرب ،
واليمن ، والاندلس ، وبابل ، وجدة ، والرياض ، وسوريا ،
وطرابلس ، وقرطبة ، والمدينة ، والنجف ، تلهمه كل بقعة معنى ،
ويوحى اليه كل مكان مقصداً .

وسمى رابع دواوينه الاردوية ، وخامس دواوينه الفارسية
(ارمغان حجاز) اى (هدية الحجاز) وخاطب الامة العربية في ديوانه
(الى امم الشرق) ، ووجه قصيدة الى رسول الله ، ونظم قصيدة
في الزهراء سيدة النساء ، والمرأة الأسوة ، وله في الاندلس ، وفلسطين
وطرابلس والثورة العربية وشؤون العرب شعر كثير .

احب اقبال العرب ، وفكر في قضيتهم ، وشارك في جهادهم
وثورتهم من أجل الحرية والاستقلال والوحدة . وكان آخر ما قاله
وهو يودع الحياة رباعية عبر فيها عن شوقه الى نعمة العادي
ونسيم الحجاز .

كان اقبال مهتما بالشرق ، يستقصي شؤونه ، وتشغله قضاياها ،
فقد سرته فضة العرب واجهته مشروطة ايران ، وافرحه انتصار
اليابان ، وتهلل ليقظة الافغان . واسس مدرسته السياسية على الآية
الكريمة التي تدعو الى التطور في سورة الرعد : « ان الله لا يغير
ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » . وقد دعا من أجل ذلك الى الحركة
والقوة والرجولة والسعي ، وكان شعاره : ليس منا من لا يقتل
في هذا السبيل . وعلى هذا بنى فلسفته في الذات التي سماها
(خودي) . وهي التي سماها فلاسفة القرن التاسع عشر (Ego) (و
(Moi) وهي في شعر اقبال : ان الانسان ما دام حيا ،
ومادام موجودا ، لابد ان تنفث فيه روح الشخصية والاستكمال ،
والاستقلال ، ولا بد ان يدخل في تصوره انه لا يمكن ان يقف على
قدميه اذا لم يعرف نفسه ولم يعرف قدره . فلا بد ان يغرس فيه

حب الحياة ، والأمل الرفيع ، والرجاء الحي ، الذي يرفعه من الحضيض
ويعلو به الى الأوج . والانسان في فلسفة أقبال هو مركز الفلسفة ،
ومحور الفكر .

ان حقيقة أدب أقبال هي فلسفة مبناها كمال الفرد في اطار الامة ،
ودعوة مرافها حياة الشرق في نعيم الحرية ، ورسالة غايتها وحدة
المسلمين في ظل التوحيد ، وسياسة هدفها نهضة الهند تحت راية
الاستقلال ، وفكرة خلاصتها علو الانسان في مستقر الكرامة .

وان مدينة أقبال الفاضلة هي وطن بلا حدود ، وزمان بلا نهاية ،
وبحر متصل الموج . وهو يرى ان الدمعة التي طفحت اعين الامم
المظلومة ، لا بد يوماً ان تنبت الورد في الشوك . وان شراب الحياة لا بد
يوماً ان تفرم قطرة منه النار في الرماد ، وان يوقد شررها التراب الهامد .

كانت لأقبال نظرية مخصوصة في الزمان ، والمكان ، ونظرية
في الدنيا والدين ، ونظرية في السياسة والحياة ، ونظرية في المجتمع
والفرد ، وكان له رأى خاص في الأدب والفن ، ورأى في التصوف
والحكمة . وقد عبر أقبال عن آرائه كلها بلغة واضحة ، وبيان سهل ،
وأسلوب منطقي . ثم هو — بعد — عقل مفتوح يقبل التبديل والتغيير
في الرأى والحكم تبعاً لسنة التطور ، وتقدم المعرفة ، وهيمنة العلم .

كان أقبال يؤكد أهمية العلم ويمزج اليه كل خير . فالعلم
هو الجناح الى أوج الأفلاك وكان يقول : ان قالب البدن يجب ان
لا يحول دون صعود الفكر الى العالم العلوى ، ويجب ان لا يمنع عن

الوصول الى السموات ، وليس القرب والبعد ، والزمان والمكان
الا مظاهر خادعة من مظاهر الوجود . وليس النهار والليل الا حلقين
في سلسلة الوقت هما صورتا الزمن ووجها الحياة . والشمس والنجوم
والكون كلها دائبة في حضن الزمان ، الذى كل شيء ذرة من غباره ،
ولمعة من شرارة ، وهو يقول : ان الزمان كسوة الانسان وثوب الرحمن
وهو مزرعة الازل ، وقنطرة الابد ، والطريق الى الحياة الخالدة .
والموت الذى نعهده نهاية هو — في الحقيقة — بداية الحياة . والسفر
الذى نحسبه اقامة هو قافلة الوجود في جادة التكوين . وليس السكون
في هذا الدرب الا خدعة ، وليست الوقفة في هذا المرتحل الا كذبة
والانسان في هذا المضطرب هو خليفة الله الخلاق . وهو نقطة الاشراق
في ضمير الآفاق . هو مظهر تجلي الرب الذى خلق الانسان على صورته
ليطيعه فيكون مثله ، وهو الأنموذج الاصغر للعالم الاكبر ، تنطوى
فيه مئات العوالم والاكوان والاسرار .

ان الانسان — وان كان اسير اليوم والغد ورهين الليل والنهار —
فهو بداية ذلك الطريق الطويل ، وما الحياة الا سر من اسرار الوقت ،
وما الصباح الا طلعة ذلك الجمال وصورة ذلك الكمال ، في ضميره
تنفس ، وفي قلبه خفق .

والذات هي تمثال الوجود ، والحياة مستترة في سعيه ، والرجاء
مفتاح السعي والعمل طلسم الأمل .

العمل هو جذوة الحياة ، والعلم هو شواطئ تلك الجذوة ،
والجذوة هي الوحدة التي كل المؤمنين فيها اخوة ، تربطهم المساواة

وتجميعهم المؤاخاة . لا تعرفهم حدود ، ولا يحصرهم مكان ، ولا يشتتهم جنس .
ولا يقسمهم لون ، ولا يبلدهم عنصر . تشد ازهرهم المحبة والصدقة
والألفة والحق والنظام ، والحكمة ، والرحمة ، وهذه هي جمهورية
أقبال الفاضلة ، والحكومة العادلة ، التي شعارها « الانسانية :
احترام الانسان ومعرفة قيمة الانسان » .

ثم ان التاريخ في نظر أقبال ما هو الا حكاية وقصة واسطورة ،
والايام ثياب نلبسها ، خياطها تلك السلسلة من الاساطير والروايات .
والحياة الازلية هي اتصال الازمنة الثلاثة ، رابطتها المحبة والعشق ،
وجب الحياة ، والحركة من اجل الحياة ، ومصارعة الفناء من اجل
البقاء ، وصنع اليوم ، والطيرورة الى الغد . وعمارة كيان (الانسان)
— وهو بنيان الله في الارض — هو شغل الانسان . فالماضي مصدر
الحال ، والحال ينبوع المستقبل .

هذه مظاهر من حياة أقبال وسيرته وفلسفته وأفكاره
وأدبه وتراثه وهي لمعة من سراج الوهاج ، وبصيص من برقه الذي
يخطف الابصار .

والحق ان اقبال هو خلاصة ثلاثة عشر قرناً من تاريخ الاسلام
في الهند . وهو أمة في ثياب رجل ، وهو رجل احيامة ، رحمه الله ،
وبوركت أمته العظيمة وشعبه الوفي .

الدكتور

حسين علي محفوظ

المصادر والمراجع

١ - العربية

- ١ - القرآن الكريم
- ٢ - أحاديث الرسول (ص)
- ٣ - فلسفة اقبال والثقافة الاسلامية
- في الهند وباكستان
- ٤ - تجديد التفكير الديني في الاسلام
- ٥ - مجلة الوعي - عدد أبريل/ ١٩٥٣
- ٦ - محمد اقبال الصفوة من كبار الكتاب
- ٧ - محمد اقبال سيرته وفلسفته وشعره
- ٨ - حفل احياء ذكرى محمد اقبال
- ٩ - روائع اقبال
- ١٠ - من السماء
- ١١ - باكستان ماضيها وحاضرها
- ١٢ - رسالة الخلود (جاويد نامه)
- ١٣ - اقبال الشاعر الثائر
- ١٤ - اقبال الشاعر والفيلسوف والانسان
- محمد حسن الأعظمي
- وعلي شعلان الصاوي
- ترجمة عباس محمود العقاد
- أحمد أمين
- الدكتور طه حسين
- الدكتور عبد الوهاب عزام
- الدكتور محمد حسن الزيات
- ابو الحسن الندوي
- حسين مجيب المصري
- الدكتور حقي
- الدكتور محمد جمال الدين
- نجيب الكيلاني
- الدكتور حميد مجيد هدو

ب - الاجنبية

(B) REFERENCE

- (1) *Introduction to the Thought of Iqbal*, trans. from French by M.A.N. Dar.
- (2) *The Place of God, Man and Universe in the Philosophic System of Iqbal* by Dr. Jamila Khatoon.
- (3) *A Bibliography of Iqbal* by Kh. Abdul Waheed
- (4) *A Voice from the East* by Zulfgar Ali Khan.
- (5) *First Principles of education* by Dr. Rafludin.
- (6) *Glimpes of Iqbal* by S.A. Vahid.
- (7) *The Political Thought of Iqbal* by Mohammad. Abdul Rahim.
- (8) *Historical Background of Pakistan* by S.A. Mannan.
- (9) *Iqbal Deshe Bidshe* (Part I & II).
- (10) *Iqbal Art and His Thoughts*. by S. Abdulwahid.
- (11) *Iqbal As A Thinker* SH. Muhammad, Ashraf Kashmiri Bazar , Lahoor (Pakistan) .
- (12) *Iqbal Review*, Dec. 1976.
- (13) *Letter of Iqbal to Jinnah*, Lahoor Ch. Muhammad Ashraf 1974 Re — Printed.
- (14) *The Development Philosophic of Mitaphysic in Parsia* by Kamaludin Khan.

طبع بموافقة وزارة الاعلام تحت رقم ٨٩٨ في ١٩٧٧/١٢/٥

١٠٠٠/١

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١٤٣١ لسنة ١٩٧٧